صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

المكتبة الثقافية

١٢٤

الآثار المصرية في الأدب العربي

الدكتور أحمد أحمد بدوي

الثقافة والإرشاد القومي

الدار المصرية للتأليف والترجمة

دار القلم

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

المكتبة الثقافية

- أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة
- تيسر لكل قارئ أن يقيم في بيته مكتبة جامعة تحوى جميع ألوان المعرفة بأقلام أساتذة ومتخصصين وبقرشين لكل كتاب
- تصدر مرتين كل شهر في أوله وفي منتصفه

الكتاب القادم

الإسلام والطب

محمد عبد الحميد البوشى

١٥ يناير ١٩٦٥

مطابع دار القلم

الثمن ٢ ص

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

المكتبة الثقافية
١٢٤

ك الالعة
ص الثاني
س
11

الآثار المصرّية
في الأدب العربي

الدكتور أحمد أحمد بدوي

الثقافة والإرشاد القومي
الدار المصرّية للتأليف والترجمة

دار القلم

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

توزيع

دار القلم

١٨ شارع سوق التوفيقية بالقاهرة

ت ٥٥٠٣٢ — ٧٧٧٤١

طنطا ميـدان الساعة

ت : ٢٥٩٤

اول يناير ١٩٦٥

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

مقدمة

كانت الآثار المصرية مصدر إعجاب النّاس فى القديم والحديث ، حتى قال الجاحظ وغيره عجائب الدّنيا ثلاثون أعجوبة ، عشرة منها بسائر البلاد ، والعشرون الباقية بمصر ؛ وهى : الهرمان ، وهما أطول بناء وأعجبه ، ليس على الأرض بناء أطول منهما ، وإذا رأيتهما ظننت أنّهما جبلان موضوعان ، ولذا قال بعض من رآهما : ليس شىء إلاّ وأنا أرحمه من الدّهر إلاّ الهرمان ، فانا أرحم الدّهر منهما ؛ وصنم الهرمين . . . وتسمّيه العامة : أبو الهول ، ويقال إنّه طلّسم الرّمل ؛ لئلاّ يغلب على الجيزة ، وبربى سمهود ،... وبربى إخميم ، كان فيه صور الملوك الذين ملكوا مصر . . . وهى مبنيّة بحجر المرمر ، طول كلّ حجر خمسة أذرع فى سمك ذراعين ، وهى سبعة دهاليز ، ويقال : إنّ كلّ دهليز على اسم كوكب من الكواكب السّبعة ، وجدرانها منقوشة بعلوم الكيمياء ، والسيمياء ، والطّلسمات ، والطبّ ، ويقال : إنّه كان بها جميع ما يحدث فى الزّمان حتى ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلّم ،

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وأنّه كان مصوّرا فيها راكبا على ناقة؛ وبربى داندار ، كان فيها مائة وثمانون كوّة تدخل الشّمس كل يوم من كوّة منها ، ثمّ الثّانية ، ثمّ الثّالثة ، حتى تنتهى إلى آخرها ، ثمّ تكرّ راجعة إلى موضع بدأت؛ وحائط العجوز من العريش إلى أسوان ، محيط بأرض مصر شرقا وغربا ، قال المسعودى . . . وأثر هذا الحائط باق إلى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة(1) . والفيوم ... وكانت ثلاثمائة وستّين قريّة . .. تميز كلّ قرية منها مصر يوما . . . ومنف وما فيها من الأبنية والدّفائن ، والكنوز وآثار الملوك والأنبياء والحكماء ، وكان فيها البربى الذى لا نظير له . . . وعين شمس وهى هيكل الشّمس ، وقد خربّت ، وبقى منها عمودان من حجر صلد ، فكان طول كلّ عمود منها أربعا وثمانين ذراعا على رأس كلّ عمود منها صورة إنسان على دابة ، وعلى رأسهما شبه الصومعة من نحاس ، . . . وصنم من نحاس كان على باب القصر الكبير عند الكنيسة المعلّقة على خلقة الجمل ،وعليه رجل راكب عليه عمامة متنكّب(2) قوسا ، وفى رجليه نعلان ... والإسكندرية.

---

(1) مروج الذهب 1 . 222 .

(2) تنكب القوس : ألقاها على المنكب .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

والمنارة التى بها ، وكان طولها سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة — مائتين وثلاثين ذراعا ، وكان طولها قديما نحو أربعمائة ذراع . وكان بناؤها على ثلاثة أشكال ، فقريب من الثّلث مربّع مبنى بالحجارة ، ثمّ بعد ذلك بناء مثمّن الشّكل انبنى بالآجر والجصّ نحو ستّين ذراعا ، وأعلاها مدوّر الشّكل ، وبرغم أنّ بعض الملوك فى الإسلام قد عنى بأمرها ، فكان يرمّم ما وهى من بنائها قد تخربت مع الزمن فى أيّام قلاوون أو ولده[1] فى أواخر القرن السابع الهجرى ، ولم يبق منها فى أيام ابن فضل الله العمرىّ المتوفى سنة ٧٤٩ هـ إلا ما هو فى حكم الأطلال الدّوارس والرّسوم الطّوامس[2] وهو عمود مرتفع فى الهواء ، تحته قاعدة ، وفوقه قاعدة ، ويقال : إنّه لا نظير له فى علوه ولا فى استدارته .

ويمضى السيوطى فى كتابه : حسن المحاضرة معدّداً عجائب الآثار فى مصر القديمه[3] . وقد شاركه كثير من المؤرخين فى وصفها كابن فضل الله العمرىّ فى كتابه : المسالك والممالك ،

(١) حسن المحاضرة ١ : ٤٤ :
(٢) مسالك الأبصار ١ : ٢٤٠ .
(٣) من ص ٣١ — ٤٥ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

والمسعودى فى كتابه : مروج الذهب ، وقد بدا فى تاريخهم لهذه الآثار نظرة الناس إليها فى عصورهم ، وما ورثوه عن أسلافهم من آراء حول إنشاء هذه الآثار ، وبعضها خرافىّ أثاره الإعجاب بها ، والجهل باللغة التى كتبت فوقها .

وقد كشف العصر الحديث عن كثير من آثار لم تكن معروفة من قبل ، وكان للمعروف منها فى القديم والحديث صدى فى الشعر العربىّ منذ زمن بعيد ، ونحن الآن بسبيل نظرة شاملة ندرس فيها كثيرا مما أنشأه الشّعراء فى هذه الآثار .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

الأهرام

لعل الأهرام صاحبة الحظ الأوفر مما قيل فى الآثار من الشّعر العربىّ ؛ والقارىء لكتاب حسن المحاضرة لمؤلفه جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ ، وهو يجمع الآراء التى قيلت قبله يدرك مقدار ما كان من اختلاف فى الرأى حول الوقت الذى بنيت فيه ، وحول بانيها ، والهدف الذى أنشئت من أجله .

ومن الطريف أن تنقل بعض هذه الآراء ، لنرى صداها فى الشعر من ناحية ، ولكى نرى الفرق الشاسع بين نظرة القدماء و نظرتنا اليوم إلى هذه الأهرام .

روى السيوطى أن جماعة من أهل التاريخ قالوا : إن الذى بنى الأهرام هو سوريد بن سلهوق بن شرياق ملك مصر ، وكان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة ، وسبب ذلك أنه رأى فى منامه كأنّ الأرض انقلبت بأهلها ، وكأنّ النّاس هاربون على وجوههم وكأنّ الكواكب تساقطت ، ويصدم بعضها بعضاً بأصوات هائلة ، فأغمّه ذلك ، وكتمه ، ثم رأى بعد ذلك كأنّ

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

الكواكب الثابتة نزلت إلى الأرض فى صورة طيور بيض ، وكأنّها تخطف النّاس ، وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكأنّ الجبلين انطبقا عليهم ، وكأنّ الكواكب النّيّرة مظلمة ، فانتبه مذعوراً ، وجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر ؛ فأخبروه بأمر الطوفان ؛ فأمر عند ذلك ببناء الأهرام ، وملأها طلسمات وعجائب وأموالا وخزائن ، وغير ذلك ، وكتب فيها جميع ماقالته الحكماء ، وجميع العلوم الغامضة ، وأسماء العقاقير ، ومنافعها ومضارها ، وعلم الطلسمات والحساب والهندسة والطب ؛ وكل ذلك مفسر لمن يعرف كتابتهم ولغاتهم ، وأحضر لها الصخور من ناحية أسوان ، وجعل أبوابها تحت الأرض بأربعين ذراعاً ؛ فلما فرغ منها كساها ديباجا ملونا من فوق إلى أسفل ، وجعل لها عيدا حضره أهل مملكته كلها ؛ ثم عمل فى الهرم الغربى ثلاثين مخزنا مملوءة بالأموال الجمة والآلات والتماثيل المصنوعة من الجواهر النفيسة ، وآلات الحديد الفاخر ، والسلاح الذى لايصدأ ، والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر ، والطلسمات الغريبة ، وأصناف العقاقير المفردة والمؤلفة ، والسموم القاتلة ، وغير ذلك ، وعمل فى الهرم الشرقى أصناف القباب الفلكية والكواكب ، وما صنع أجداده من التماثيل ؛

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وجعل فى الهرم الملون أخبار الكهنة فى توابيت من صوان أسود ، مع كل كاهن مصحفه ، وفيها عجائب صنعته وحكمته وسيرته وماعمل فى وقته ، وما كان وما يكون من أول الزمان إلى آخره ؛ وجعل لكل هرم خازنا يقتل من يقترب منه(١).

كما روى أيضاً أنها كانت قبوراً لملوك مصر ، كان الملك منهم إذا مات وضع فى حوض حجارة ، ثم يبنى من الهرم على قدر مايريدون من ارتفاع الأساس ، ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ، ثم يقنطر عليه البنيان والأقباء ، ثم يرفعون البناء على هذا المقدار(٢).

وقد بدت هذه الحيرة فى الشعر يومئذ ، فقال بعضهم :

حَسَرَتْ عقولَ أولى النُّهَى الأهرامُ
واستُصْغِرَتْ لعظيمها الأجرامُ
مُلْسٌ ، موثَّقةُ البناء ، شواهقٌ
قصُرَتْ لعالٍ دونهنّ سِهَامُ

---

(١) حسن المحاضرة ١ : ٣٣

(٢) مروج الذهب ١ : ٢١٧

لم أذرِ حينَ كبا التفكُّرُ دونها
واستعجمت لعجيبها الأوهام

أقبور أملاك الأعاجم هن ، أم
هذى طلاسم رملٌ أم أعلام[1] ؟

ولعل هذا الشعر من أول ماقيل فى الأهرام ؛ لأنه يتحدث عن ملاستها ، والغالب أن يكون ذلك قبل أن يحاول المأمون فتح باب فيها عند زيارته لمصر .

والشعر ينبىء عن حيرة العقول يومئذ فى الأهرام ، وماوقع فى نفس الشاعر لها من الإكبار والإجلال ؛ والبيت الأخير يدل على بعض ما كان يدور حول الأهرام من آراء .

ووجد الرأى الذى سبق أن عرضنا صداه فى الشعر ، فقد روى أن أحمد بن طولون حفر على أبواب الأهرام ، فوجدوا فى الحفر قطعة مرجان مكتوبا عليها سطورٌ باليونانى ، فأحضر من يعرف ذلك القلم ؛ فإذا هى أبيات شعر ، فترجمت ، فكان فيها :

(١) حسن المحاضرة ١:٣٣ . والأعلام : الجبال .

أنا باني الأهرامِ فى مصرَ كلُّها
وما لكُها قِدماً بها والمقدَّمُ

تركتُ بها آثارَ عِلمِى وحكمَتى
على الدَّهر ، لا تبلَى ، ولا تتثلَّمُ (١)

وفيها كنوزٌ جمَّةٌ وعجائبٌ
وللدَّهرِ لينٌ مرَّةً ، وتهجُّمُ

وفيها علومى كلُّها غيرَ أنَّنى
أرَى قبلَ هذا أن أموتَ فتُعلَمُ

ستُفْتَح أقفالى ، وتبدو عجائبِى
وفى ليلةٍ فى آخرِ الدّهرِ تنجُمُ (٢)

ثمان وتسعٌ واثنتان وأربع
وسبعون من بعد المئين ، فتسلمُ

(١) الثلمة : الخلل .
(٢) تنجم : تظهر .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ومن بعد هذا جزء تسعين برهة

وتُلقِى البرابى صخرَها ، وتهدَّم

تدبَّرْ فمالى فى صخورَ قطعتُها

ستَبْقى ، وأفنَى قبلَها ، ثم تُعْدَمُ (١)

قيل : فجمع أحمد بن طولون الحكماء ، وأمرهم بحساب هذه المدة ، فلم يقدروا على تحقيق ذلك ، فيئس من فتحها :

وإذا صح هذا الخبر فإن ناظم هذا الشعر أراد أن يضع ألغازاً لا يستطاع حلها ، ليظهر بمظهر العالم الخبير .

ولا يمكن أن يكون ذلك ترجمة لشعر كتب على شيء فى الأهرام ، لأنّ البانى لها لا يمكن أن يكون قد أراد فتحها ولكنّه كان يرغب فى أن تظل سراً مغلقا إلى الأبد .

وإذا كان بعض من رأى الهرمين قال : ليس شيء إلاّ وأنا أرحمه من الدّهر إلا الهرمان فأنا أرحم الدّهر منهما (٢) ، فإن المتنبىّ قد وقف أمامهما يستعظم أمرها ويستعظم بناءها ،

---

(١) حسن المحاضرة ١ : ٣٥ .

(٢) حسن المحاضرة ١ : ٣١ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ويجل الشعب الذى أنشاهما، حين يستفهم هذا الاستفهام المنبىء عن الإعجاب إذ يقول :

أين الذى الهرمانِ مِن بنيانِهِ
مَنْ قومُهُ؟ ما يومُه؟ ما المصرَعُ؟
تتخلّف الآثارُ عن سُكانِها
حينا، ويُدْرِكُها الفناء، فتتبَعُ[1]

ولكنّه فى البيت الثّانى يعلن أنّ هذه الآثار مهما تخلّفت بعد أصحابها، سيلحقها الفناء، وتتبع من شادوها.

وقد قال المتنبى هذين البيتين بعد أن خرج من مصر فى قصيدة يرثى بها أحد رجال مصر، ولم يشر المتنبى إلى آثار مصر فى غير هذين البيتين أمّا عماره اليمنى فيملؤه الجلال عندما يرى الهرمين، فيرى الدّهر عاجزا عن أن تمتدّ إليهما يده، ويراهما مثال الاتقان، ولكنه يعلن عجزه عن الوصول إلى سرّهما، ويقول :

خليلىّ ما تحت السّماء بنيّة
تُماثِلُ فى إتقانِها هرَمَىْ مِصرِ

---

(١) ديوان المتنبى ص ٣٧٠ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

بناء يخافُ الدّهرُ منه ، وكلُّ ما

على ظاهر الدُّنيا يخاف من الدّهرِ

تنزّهَ طَرْفى فى بديع بنائِهاَ

ولم يتنزّه فى المواد بها فكرِى[1]

وتعبير الشاعر بخوف الدّهر منها يصوّر مناعتها وقوة صلابتها .

أما أبو الصّلت أميّة بن عبد العزيز الأندلسىّ فيراهما أجمل شىء يمكن أن تره العين فى هذا الوجود إذ يقول :

بعيشك ، هل أبصرتَ أحسن منظرا

على ما رأت عيناك ، من هرمى مصر

أنافا بأعنانِ السّماءِ ، وأشرفا

على الجوّ إشرافَ السِّماكِ أو النّسْرِ[2]

---

(١) حسن المحاضرة ١ : ٣٩ .

(٢) السماك والنسر نجمان .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وقد وافيا نشزاً[1] من الأرضِ عاليا

كأنّهما نَهْدان قاما على صدر[2]

وأخذ صورة النهدين شاعر آخر فجعل الأرض تكشف عنهما عندما أخذت تدعو الله أن يمنّ على البلاد بالرّى بعد الظمأ، خوفا على بنيها الساكنين فى هذا الجزء، فاستجاب الله دعاءها وأغاثها بالنيل يروى ظمأها، ويشفى غليلها، وذلك إذ يقول:

انظرْ إلى الهرمَيْن إذ برَزَا

للعَيْنِ فى عُلوٍ، وفى صُعُدِ

وكأنَّما الأرضُ العريضَةُ إذ

ظَمِئَتْ لفرطِ الحرِّ والرَّمَدِ

حَسَرَتْ عن الثَّدْيَيْنِ بارِزَةً

تدعُو الإلهَ لرِقَّةِ الولَدِ

---

(١) النشر: المرتفع من الأرض.

(٢) مسالك الأبصار ١: ٢٣٧.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فأجابَها بالنِّيل يوسِعُها
رِيّا ، ويَشْفِيها من الكَمَدَ(1)

واتخذ بعضهم شبه الهرمين بالنهدين دليلا على أن مصر صدر الأرض ، وعجب من أن يظلا ناهدين ، برغم كثرة من ولدته من الأبناء ، فقال :

تبيّن أنّ صدرَ الأرضِ مصرٌ
ونَهداها من الهرمَيْن شاهِد
فواعجبَا ، وقد ولَدَت كثيراً
على هرَمٍ ، وذاك النَّهدُ ناهِد(2)

أما ابن الساعاتى فيرى الهرمين من العجائب التى لا تحتاج إلى إسهاب فى بيان غرابتها ، فقد مرّ عليهما أزمان طويلة الأمد ولم يزدها ذلك إلا جدّة فى الشباب ، فما أعجبهما من بناء أزلىّ يريد أن يصل بارتفاعه إلى عنان السماء ، وإنهما فى ثباتهما بمكانهما يشبهان وقفا متبلدا حزنا على الزّمن الذى مضى ،

---

(1) حسن المحاضرة 1 : 39 .
(2) المرجع السابق نفسه .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وإذا كانت الأهرام غير واضحة السرّ أمام العين فإن العقل وحده هو الذى يستطيع أن يصل إليه، وذلك إذ يقول :

ومن العجائبِ ، والعجائبُ جمّة
دقّت عن الإكثارِ والإسهابِ
هرمان قد هرِمَ الزّمانُ ، وأدبرت
أيّامُهُ ، وتزيدُ حُسْنَ شَبَابِ
للهِ أىُّ بنيَّةٍ أزَليَّةٍ
تبغى السّماء بأطولِ الأسبابِ
وكأنّما وقفتْ وقوفَ تبلُّدٍ
أسفاً على الأيّامِ والأحقابِ
كتمتَ على الأسماعِ فَضْلَ خِطابِها
وغدَتْ تُشيرُ به إلى الألبابِ(١)

ولكنّ الشاعر لم يذكر شيئا عن هذا السرّ الذى تفضى به الأهرام إلى الألباب؛ وإذا كانت الأهرام تزيد على الأيام

---

(١) المرجع السابق نفسه .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

شبابا وقوّة فلم تقف متبلدة حزينة على الأحقاب التى انقضت .

وجاء شاعر آخر فألم ببعض معانى ابن السّاعاتى ، وشبهها بالخيام المقامة من غير عمد ولا أطناب ، فقال :

لله أىُ غريبةٍ وعجيبةٍ
فى صَنْعَةِ الأهرامِ للألبابِ

أخفَتْ عن الأسماعِ قصّة أهلِها
وقصَت عن الألبابِ كلَّ نقابِ

فكأنَّما هى كالخيام مُقامةٌ
من غيرِها عُمُدٍ ولا أطنابِ(١)

وفى تشبيه الأهرام بالخيام مايوحى بأن الشاعر رآها عن بعد، فكانت صغيرة يذكر مرآها بمرأى الخيام .

ووقف ظافر الحدّاد أمام الهرمين وبينهما أبو الهول فرآهما كالهودجين لحبيبين مرتحلين ، ووقف بينهما رقيب يحول بينهما وبين اللقاء ، فذرفا دموعا هى ماء النيل ، وانتحيا لهذا الفراق بما نسمعه من صوت الريح العاصفة . أما المقطم

(١) المرجع السابق نفسه . والأطناب : حبال الخباء .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فيشبه ركبا مسافرا أدركه التعب فبرك على الأرض ليستريح ،
وذلك إذ يقول :

تأمَّــل هيئة الهرمين ، وانظر
وبينهما أبو الهولِ العجيبُ
كعّاريّتين[1] عــلى رحيــل
بمحبوبين بينهما رقيــبُ
وماء النّيلِ بينهما دموعٌ
وصوتُ الرّيحِ عنـدهما نحيبُ
ودونهما المقطمُ ، وهو يحكى
ركابَ الرّكبِ أبركها اللّغوبُ[2]

وتلمس الشهاب المنصورى للهرمين شبيها ، فوجدهما كمسافرين آبا إلى موطنهما فاستقرا ، أو عاشقين وشى بحبهما أبو الهول ، أو ضالين فى الصحراء ، اهتديا بنجم السماء فأرشدهما ، أو ظامئين استسقيا مطر السماء ، فهطل عليهما حتى رويا .

---

(١) عماريتين : مثنى عمارية ؛ وهى : الهودج .
(٢) حسن المحاضرة ١ : ٣٩ . واللغوب : التعب

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وأحسَّ الشهاب بغيظ الزَّمن منهما لعجزه عن أن ينال منهما منالا ، فقال :

إن جُزْتَ بالهرَمَيْن قُلْ : كم فيهما
من عِبْرَةٍ للعاقلِ المتأمِّلِ
شَبَّهْتُ كلاًّ منهما بمسافر
عرفَ المحلَّ ، فبات دونَ المنزِلِ
أو عاشِقَيْن وشَى بوصلِهما أبو الـ
ـهَوْلِ الرَّقيبُ فخلَّفَاهُ بمعزِلِ
أو حائرين استهدَيَا نجمَ السَّماَ
فهداهُما بضيائِهِ المتَهَلِّلِ
أو ظامِئين استسقيا صوبَ الحَيَا
فسقاهُمَا عذباً رَوِيَّ المَنْهَلِ
يفنَى الزّمانُ ، وفى حَشَاهُ منهُما
غيظُ الحسودِ وضَجْرَةُ المُسْتَثْقِلِ (1)

---

(1) حسن المحاضرة ١ : ٤٠ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ولا أجد فى كل ما جاء به الشهاب المنصورى من تشبيهات مصورا للإحساس النفسى إزاء الأهرام، فليس هناك شىء يربطهما بالمسافر أو العاشق أو الحائر أو الظامىء، ولكنه قد وفق فى تصوير غيظ الزّمان منهما.

وظل الشعر إلى العصر الحديث يحمل دلائل الحيرة والعجز عن الوصول إلى معرفة السر فى إقامة هذه الأهرام كما يحمل أسمى مظاهر إجلالها واتخاذها عظة تصل إلى أعماق القلوب وإن لم تنطق الأهرام بلسان، كما نتبين ذلك فى قول فخر الدين عبد الوهّاب المصرى :

أمبانىَ الأهرامِ ، كم مِن واعظٍ
صدَعَ القُلوب ، ولم يَفُهْ بلسانِهِ
أذكرتنى قولا تقادَمَ عهدُهُ
« أين الّذى الهرمان من بنيانِهِ »
هُنَّ الجبالُ الشّامخاتُ تكاد أن
تمتدّ فوقَ الأرضِ عن كيوانِهِ (1)

(1) كيوانه : كوكب زحل .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

لو أنّ كسرى جالسٌ فى سفحِها
لأجـلَّ مجلِسَه علَى إيوانهِ
ثبتَت على حرِّ الزَّمان وبَردِه
مُدَداً ، ولم تأسَفْ على حدَثانهِ (١)
والشَّمسِ فى إحراقِها ، والرّيحِ عنـ
ـدَ هُبُوبِها ، والسَّيلِ فى جريانِهِ
هل عابدٌ قد خصَّهـا بعبـادةٍ
فبانِىُ الأهرامِ من أوثانِهِ
أو قائل يقضِى برُجْعَى نفسِهِ
من بعـد فُرْقَـته إلى جُثمانِهِ
فاختارها لـكنوزِه وجِسمِه
قبرا ، ليأمَنَ مِنْ أذَى طوفانِهِ
أو أنّهـا للسّائرات مراصِـدٌ
يختـارُ واحِدُها أعزَّ مكانِهِ

(١) حدثان الدهر : نوائبه .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أو أنّها وصفت شئونَ كواكِب
أحكامَ فُرْسِ الدّهرِ أو يونانِهِ
أو أنّهم نقشوا على حيطانها
علما يحار الفكر فى تبيانِهِ
فى قلب رائيها ، ليعلم نقشَها
فِكرٌ يعضُّ عليه طَرْفَ بنيانِهِ (١)

والشاعر هنا يكاد يستوعب ما رواه عصره من آراء فى سبب بناء هذه الأهرام . ومما يلحظ أنه منذ القدم قد قرّر بعض الآراء ما نؤمن به فى العصر الحديث من أنها بنيت لتكون قبورا لبناتها الذين كانوا يؤمنون بعودة الروح إلى جسدهم . وفى تشبيه الأهرام بالجبال تصوير للإحساس النفسىّ بضخامتها . ولأول مرة فى الشعر يوازن الشاعر بينها وبين إيوان كسرى ويفضلها على الإيوان .

وشارك النثر الشعر فى الإعجاب بالهرمين ، إذ يقول القاضى

---

(١) تاريخ الأدب العربى على عهد المماليك والعثمانيين للأستاذ السباعى بيومى ص ١٢٧ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

الفاضل : «الهرمان فرقدا[1] الأرض وكل شيء يخشى عليه من الدهر ، إلا الهرمان فإنه يُخشى على الدّهر منهما[2] » ، وذلك إحساس رأيناه فى الشعر أيضا كما فى قول عمارة اليمنى .

وأعجب ضياء الدين بن الأثير بارتفاع الهرمين ، فقال فى حديثه عن مصر : وبه من عجائب الآثار مالا يضبطها العيان ، فضلا عن الإخبار ، من ذلك الهرمان اللذان هرم الدهرُ وهما لا يهرمان ، قد اختص كل منهما بعظم البناء ، وسعة الفناء ، وبلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها الطير على بعد تحليقه ، ولا يدركها الطرف على مدى تحديقه ، فإذا أضرمَ برأسه قبس ظنه المتامل نجما ، وإذا استدار عليه قوس السماء كان له سهما[3] » .

ولم أجد فى وصفهما شيئاً أبعد عن الصواب من تصوير أحد الكتاب لما بأنها بعض لعبٍ يتزيَّنُ بها[4] .

ومن كل ذلك يتبين أن الشعر فى القديم صور حيرة الناس إزاء الأهرام ، وأعلن إعجابه العميق ببنائها وبناتها ، ومضى

---

(١) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب .

(٢) حسن المحاضرة ١ : ٣٨ .

(٣) حسن المحاضرة ١ : ٤٠ .

(٤) المرجع السابق نفسه .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

يسجل إحساسه نحوها ، وإن لم يستطع فى أكثر الأحوال أن يرتفع إلى مستوى عال ينبض بالقوة والحياة .

ومما يلاحظ أن الذى حظى من الشعر فى العصر القديم بأوفى نصيب إنما هما هرما الجيزة الكبيران ، أما غيرهما من باقى الأهرام بما فى ذلك هرم الجيزة الأصغر فلم يحظ بنصيب من التقدير ، ويرجع سبب ذلك إلى مااختص به الهرمان الكبيران من ضخامة وإتقان بناء .

* * *

ونالت الآثار المصرية ومن بينها الأهرام عناية كثير من الشعراء فى العصر الحديث نرى بشائر ذلك فيما قاله السيد على الدرويش المتوفى سنة ١٨٥٣م فى الهرمين الكبيرين :

انظر إلى الهرمين ، واعلم أنَّنى
فيما أراه منهما مبهوتُ
رسخا على صَدْرِ الزّمانِ وقلبِهِ
لم ينهضا حتّى الزّمانُ يموتُ(١)

---

(١) فى الأدب الحديث ١ : ٤٣ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وهى نظرة تشبه نظرة القدماء فى بقاء الهرمين راسخين دائمين ، وإن كانت صياغة الشعر غير قوية ولا رائعة .

وربما كان البارودى أول شاعر فى العصر الحديث أطال فى الحديث عن الهرمين ، ورأى فيه أثر احصاه أغلى من الدرّ ، وصخره لا يقوم بالتبر ولنصغ إليه لنتبين ما فى شعره من إحساسات شعر بها ، وقد أقام بالقرب من الأهرام شهراً يتردد عليها مستغرق الفكر فيها ، متأملا ما نقش فوقها ، ناظراً عبث العابثين بما كان فيها ، فيقول :

سَلِ الجيزةَ الفيحاء عن هرَمَىْ مصرِ
لعلّك تدرِى غيبَ مالم تكُن تدرى

بناءان ردَّا صولةَ الدّهرِ عنهما
ومِنْ عَجَبٍ أن يغلِبا صولةَ الدّهرِ

أقاما على رغم الخطوب ليشهدَا
لبانيهما بين البريّة بالفخر

فكم أممٍ فى الدّهر بادت وأعصر
خلَت ، وهما أعجوبةُ العينِ والفكرِ

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تلوحُ لآثار العقولِ عليهما
أساطيرُ لا تنفكّ تُتلى إلى الحشرِ
رموزٌ لو استطلعت مكنونَ سرِّها
لأبصَرْتَ مجموعَ الخلائقِ فى سَطْرِ
فَما مِن بناءٍ كان أو هو كائن
يدانيهما عندَ التّأمُّلِ والخُبْرِ
يقصّر حُسنا عنهما صرحُ «بابلٍ»
ويعترفُ «الإيوانُ» بالعجزِ والبُهْرِ
فلو أنّ هاروتَ انتحى مرصديهما
لألقى مقاليدَ الكَهَانةِ والسِّحْرِ
كأنّهُمَا ثَدْيانِ فاضاَ بدِرّة[1]
من النّيل تَرْوِى غُلَّة الأرضِ إذ تجرِى

وأول ما يلحظ فى هذا الشعر إذا وزن بمعظمه الشعر الماضى قوة البناء، وشدة الأسر، وإحكام النظم.

(١) الدرة: اللبن.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أما معانيه فقد رأينا بعضها فيما مضى من الشعر ، وبعضها مما انفرد البارودى بالشعور به .

ففى مطلع القصيدة يوحى الشاعر بعظمة الهرمين عندما دعا إلى السؤال عنهما عسى أن يعلم السائل أموراً جليلة لم يكن يدرى عنها شيئاً قبل هذا السؤال وإنما يُسأل عن الأمر الجليل .

وفى الأبيات التالية يبين عظمة هذين الهرمين فيصور الصراع بينهما وبين الزمن ، ويصور معركة انتصر فيها الهرمان على صولة الزمن ، ويتحدث عن إعجاب الناس بهما على مر العصور والأحقاب ، ويحكم حكما قاطعاً بأنه ما كان ولن يكون فى الدنيا بناء يضارعهما .

وأصول هذه المعانى مما ألمّ به الشعراء الأقدمون كما سبق أن أوردتها ؛ أما المعنى الذى انفرد البارودى به فهو أن الهرمين شاهدان على أن صاحبهما جدير بأن يفتخر بهما لما يدلان عليه من عظمة وعقل جبار ، تمضى عقول الخلق فى أثره تريد أن تبتين ما وراء بنائهما من أسرار تحاول أن تصل إليها ما بقى هذا الوجود .

وربما كان من آثار الأفكار القديمة فى شعر البارودى

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ما كان بعض الناس يظنونه من أن الذين بنوا الأهرام أودعوا فى رموزها جميع ما كان لهم من علم وحكمة .

ونجد من آثار الشعر القديم عند البارودى تشبيه الهرمين بالثديين ، وللعين أثر فى هذا التشبيه ، وأما أن يجعل البارودى النيل قد فاض عنهما فخيال مصنوع لا يقوم على أساس نفسى ، لأن الواقف عند الأهرام لا يشعر من قرب أو بعد بمثل هذا الفيضان .

ويمضى الشاعر فى وصف أبى الهول الرابض بين الهرمين ، فيقول :

وبينهما « بلهيب »[1] فى ظلّ رابض
أكبّ على الكفّين منه إلى الصّدرِ
يقلّب نحو الشّرقِ نظرة وامقٍ[2]
كأنّ له شوقا إلى مطلع الفجر

والجديد فى إحساس البارودى أنه شعر فى نظرة أبى الهول إلى الشرق أنه مشتاق إلى مطالع الفجر ، فليت شعرى أيريد

(١) بلهيب : أبو الهول . (٢) الوامق : المحب .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

البارودى بمطلع الفجر إشراق نور المجد على الوطن الحبيب ؛ ليعود كما كان فى الماضى مجيداً عظيما ؛ وذلك إحساس طبيعى أقرب إلى النفس من إحساسها بأبى الهول رقيباً على حبيبين يركبان هودجين ، كما رأينا فى الشعر القديم .

ويتحدث البارودى بعدئذ عن سعادته بمجاورته للأهرام شهراً ، لعله قضاه فى دراسته لها ، وتأمل فيما توحى به من المعانى إذ يقول :

مصانعُ فيهـا للعُـلومِ غوامضٌ
تدلّ على أنّ ابن آدمَ ذو قَدْرِ
رسا أصلها ، وامتدّ فى الجوِّ فرعُها
فأصبحَ وكْراً للسِّماكينِ والنَّسْرِ (١)
فقمْ نغترفْ خمْرَ النُّهَى من دِنانِها
ونجنى بأيدِى الجـدِّ ريحانة العمُرِ
فـثمَّ عـلُومٌ لم تُفتق كِمامُهَـا
وثَمَّ رُموز وحيُهـا غامضُ السِّرِّ

(١) السماكان والنسر : نجوم .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أقمتُ بها شهراً ، فأدركتُ كلَّ ما
تمنّيتُهُ من نعمةِ الدّهرِ في شهرِ

نروحُ ، ونغدو كلَّ يومٍ ، لنجتني
أزاهيرَ علمٍ لا تجفُّ مع الزَّهْرِ

إذا ما فتحنا قُفْلَ رمزٍ بدت لنا
معاريضُ لم تفتحَ بزيجٍ ولا جَبْرِ

فكم نُكَتٍ كالسِّحْرِ في حَركاتِه
تريكَ مدبَّ الرّوحِ في مهجةِ الذّرِّ

سكِرنا بما أهدَتْ لنا من لُبابِها
فيالكَ مِن سُكرٍ أتيح بلا خَمْرِ

ورسو أصلها وارتفاع بنائها ليكون مقراً للنجوم من المعاني التي جاء بها القدماء في الشعر ، كما سبق أن أوردنا .

أما الجديد عند البارودي فهو نظرته إلى الأهرام على أنها آيات تدل على عظمة الإنسان إذ استطاع أن يأتي بهذه المعجزات .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ولست أدرى على وجه التحديد لون الدراسة التى قام بها البارودى فى الأهرام ، وما النتائج التى ارتاح إلى الوصول إليها من هذه الدراسة ، التى يعلن أنه نال منها كل ما كان يتمناه ؛ واستمتع بها كما يستمتع النشوان أسكرته الخمر ، فهل كان يحاول قراءة ماعلى الأهرام من الكتابة الهيروغليفية ويرى فيها روحا تدب فى الصخر فتحييه ؟

وجديد كذلك فى التجربة التى أحس بها البارودى شعوره بالحنق على هؤلاء الذين لم يرعوا حرمة هذه الكتابة ، فحطموا بعض الصخور التى كانت مكتوبة لكى يصلوا إلى خزائنها ، وما فيها من ثروة وكنوز ، وهو يصب جام غضبه على المعتدين على حرمة هذه الآثار ، ويقول :

وما ساءنى إلاّ صنيعُ معاشرٍ
أَلحُّوا عليها بالخيانةِ والغَدْرِ
أبادوا بها شملَ العُلومِ ، وشوّهُوا
محاسنَ كانت زينةَ البرِّ والبحْرِ
فكم سَمَلُوا عينا بها تُبْصِرُ العُلَى
وشلُّوا يداً كانت بها رايةُ النَّصْرِ

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تمنَّوْا لِقاط الدُّرِّ جهلاً ، وما دَرَوْا
بأنَّ حصَاهـا لا يُقَوَّمُ بالدُّرِّ
وفلُّوا لجمع التِّبْرِ صُمَّ صخُورِها
وأيسرُ ما فلُّوهُ أغلَى من التِّبر
ولكنَّهم خابوا ، فلم يصلُوا إلى
مُناهم ، ولا أبقَوْا عليها من الخَتْرِ (١)
فتبًّا لهم من معشرٍ نزعَتْ بهم
إلى الغيِّ أخلاقٌ نَبَتْنَ على غِمْر (٢)
ألا قبّح الله الجهالةَ إنّها
عدُوَّةُ ما شادته فينا يد الفِكر

وتلك أول صيحة فى الشعر العربى تستنكر الاعتداء على الآثار ، وتعتز بها وترى قيمة حصبائها أغلى من الدر والذهب .

---

(١) الختر : الغدر .
(٢) الغمر : الحقد .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ويختم البارودى قصيدته مقلداً الشعر القديم فى إرسال التحية مع النسيم . والدعاء لها بأن يسقيها المطر فيقول :

فيا نَسَماتِ الفجـرِ ، أدّى تحيّـتى
إلى ذلك البُرْج المطل على النّهرِ
ويالمَعَاتِ البرقِ ، إن جزْتِ بالحمَى
فصوبى عليها بالنّثار من القَطر [1]

ويرى جمال الدين الأفغانى فى الآثار المصرية ومن بينها الأهرام حافزاً على التشبه بالآباء والأجداد ، ودافعاً إلى التمسك بالعزة والكرامة ، إذ يقول : « انظروا أهرام مصر ، وهياكل منفيس ، وآثار طيبة ، ومشاهد سيوة ، وحصون دمياط ، فهى شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم . هبوا من غفلتكم . أصحوا من سكرتكم ، عيشوا كباقى الأمم أحراراً سعداء [2] » .

وتلك نظرة جديدة إلى الآثار ، أوحى بها ما كانت قد وصلت إليه الأمة المصرية حينئذ من تأخر وهوان ، وما تدل عليه هذه الآثار من قوة وعلم وحضارة وصل إليها المصريون

---

(١) ديوان البارودى (شرح المنصورى) ١ : ١٤٩ .
(٢) فى الأدب الحديث ١ : ٢١١

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

القدماء ، فدفع ذلك إلى اتخاذ هذه الآثار وسيلة لحث الأبناء على اليقظة والعمل والشعور بالكرامة ، حتى يكون الأبناء جديرين بأن ينتسبوا إلى مثل هؤلاء الآباء .

ويمثل النظرة الجديدة أو فى تمثيل قصيدة إسماعيل صبرى التى أنشأها على لسان فرعون ، يحث المصريين على العمل المجيد ، فيقول :

لا القومُ قومى ، ولا الأعوانُ أعوانى
إذا ونَى يومَ تحصيل العـلا وانِ
ولستُ ، إن لم تُؤَيِّدنى فراعنـةٌ
منـكم ، بفرعونَ عالى العرشِ والشّانِ
ولستُ جبّارَ ذا الوادى إذا سلمت
جبـالُه تلك من غاراتِ أعوانى

ففرعون فى هذه الأبيات ، ينـكر قومه ، ولا يعترف بنسبتهم إليه إذا قصروا فى طلب المجد ، أو تهاونوا فى السعى إلى العلا ، ويقرر أنه لن يـكون بذلك الأب الرفيـع الشأن إذا لم يشبهه أبناؤه فى علو الهمة ، ولن يـكون الملك المهيب القوى إذا لم يـكن

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

من أبنائه جيش قوى يغير على الأعداء فى قوة وجبروت.

وهو من أجل ذلك يطلب منهم أن يعملوا ويكدوا ؛ لأن ماء النيل العذب لم يجر ليشرب به كسلان ، ولا يستحق بنوه أن يرووا ظمأهم منه إذا لم يعملوا عملا جليلا ، ولم يبنوا كما بنى آباؤهم من قبل ، ولم يحاولوا تذليل المستحيل حتى يصير ممكنا ، واستمع إلى فرعون يحث بنيه على العمل قائلا :

لا تقرَبوا النّيلَ إن لم تعملوا عملا
فماؤُه العذبُ لم يُخْلَقْ لكسلانِ
رِدُوا المجرّةَ كدًّا دونَ مورِدِه
أو فاطلبوا غيره ريًّا لظمآنِ[1]
وابنُوا كما بنتِ الأجيالُ قبلكُمُ
لا تتركوا بعدكُم فخراً لإنسانِ
أمرتكُمُ ، فأطِيعُوا أمرَ ربِّكُمُ
لا يَثْنِ مستمعاً عن طاعةٍ ثانِ[2]

---

(١) المجرة : عدة نجوم متقاربة فى السماء تبدو كأنها بقعة بيضاء. والكد : الاجتهاد.
(٢) ثناه : صرفه.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فالملكُ أمرٌ وطاعاتٌ تُسابقُهُ

جنبا لجنبٍ إلى غاياتِ إحسانِ

لا تتركوا مستحيلاً فى استحالته

حتّى يُمِيطَ لكم عن وجهِ إمكانِ(١)

ذلك ماقاله فرعون ، وأمره واجب الطاعة ، تلبيه الجماهير التى تملأ الوادى بآثارها :

مقالةٌ هبطت من عرشٍ قائلها

على مناكبِ أبطالٍ وشُجْعانِ

مادَت لها الأرضُ من ذُعرٍ ،ودان لها(٢)

ما فى المقطّمِ من صَخْرٍ وصَوّانِ

لو غيرُ فرعون ألقاها على ملأ

فى غيرِ مصرَ لعُدَّتْ حُلمَ يقظانِ

لكنّ فرعونَ إن نادَى بها جبلا

لبّت حجارتُه فى قبضَةِ البانى

---

(١) يميط : يكشف .   (٢) دان لها : خضع .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وآزرتهُ (1) جمــاهيرٌ تسيل بهــا

بِطــاحُ وادٍ بمـاضى القومِ ملآنِ

والشاعر يشير بذلك إلى أن أهل مصر كانوا كفرعون ، مغرمين ببناء المجد ، فلا يكاد فرعون يدعوهم إلى تشييد مأثرة حتى يتسابقون إليها فرحين مجدين ، وهو بذلك لا يقبل رأى أولئك الذين يزعمون أن تلك الآثار بناها المصريون بالظلم والسخرة والاستبداد .

ويمضى الشاعر متحدثا عما شادوه من آثار حديث المعجب المفتون ، فيقول :

يبنون ما تقــف الأجيــالُ حائرةً

أمامَــهُ بينَ إعجــابٍ وإذعانِ (2)

من كلِّ ما لم يلذْ فــكرٌ ، ولا فُتِحَتْ

على نظــائرِه فى الــكونِ عينــانِ

ويشبِهونَ إذا طــاروا إلى عمــل

جنًّــا تطــيرُ بأمرٍ من سـليمانِ

---

(1) آزرته : عاونته . (2) إذعان : إقرار .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

برًّا بذى الأمرِ ، لا خوفا ولا طمعا

لكنّهم خُلِقوا طُلّابَ إتقانِ

والأبيات تحمل أقصى دلائل الاجلال لقدماء المصريين الذين يبنون ما تحار أمامه الأجيال ، وما تقر بعظمته وجلاله ، ويؤكد ما أشار إليه فى الأبيات السابقة من غرام المصريين بالمجد ، وإسراعهم إلى بنائه رغبة منهم فى إتقان ما يعملون ، وحبا لملكهم لا خوفا منه ولا طمعا فى ما بيديه من المال .

ويخص الشاعر الأهرام من بين تلك الآثار فيقول :

أهرامُهم تلك حىُّ الفنِّ مُتّخِذاً

من الصُّخور بروجا فوقَ كِيوانِ[1]

قد مرَّ دهرٌ عليها وهى ساخرةٌ

بما يُضَعضِعُ من صرحٍ وإيوانِ[2]

---

(١) كيوان : كوكب زحل .

(٢) الصرح : البناء العالى . والايوان : المكان المتسع من البيت يحيط به ثلاثة حيطان .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

لم يأخذِ اللّيلُ منها والنّهارُ سوى
ما يأخذ النّملُ من أركان ثهلانِ[1]

كأنّهـا ، والعوَادى فى جوَانبِها
صرعى — بناء شياطين لشيطانِ[2]

وإذا كان الشعراء قبله قد تحدثوا عن بقاء الأهرام فقد انفرد صبرى بإحساسه بانها تسخر بمـا يهدمه من القصور والأواوين ، وربمـا كان يريد بذلك ما صرح به البارودى من صرح بابل وإيوان كسرى . وجميل جدا تصويره ما استطاع الليل والنهار أن يأخذاه منها بمـا يستطيع النمل أن ياخذه من جبل ضخم ، وهو ، بلا ريب ، شىء تافه لا يؤبه له .

ويذكرنا قول إسماعيل صبرى بأن الاهرام كأنمـا بناها شياطين لشيطان ، بقول البحترى فى وصف إيوان كسرى مبديا أقصى ما يمكن من الإعجاب به :

ليس يُدْرَى أصنـعُ إنسٍ لجنٍ
سكنوه ، أم صنـعَ جن لإنس

(١) ثهلان : جبل عظيم فى نجد. (٢) العوادى : أحداث الزمان.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

لأن كلمة الشيطان ولاسيما فى عصرنا الحاضر ، وكلمة الجن توحيان بالأعمال الخارقة للعادة .

ويصور الشاعر الجموع التى تفد لزيارتها ، فيجدون كل موجود ضخم صغيرا بالنسبة إليها ، حقيرا إذا وزن بها ، ويعودون معترفين بفضل المصريين مقرين بما لهم من فضل وإحسان فيقول:

جاءت إليها وفودُ الأرضِ قاطبـةً
تَسْعى اشتياقاً إلى ما خلّد الفـانى

فصغّرت كلَّ موجودٍ ضخامتُها
وغضّ بنيانها من كلّ بُنيانِ

وعاد منكرهُ فضلِ القومِ معترفا
يُثْنى على القومِ فى سِرٍّ وإعلانِ (1)

وقصيدة إسماعيل صبرى تشترك مع قصيدة البارودى فى تمجيد الأهرام والإشادة ببناتها ، وتنفرد عنها بالدعوة الملحة إلى التعب والجهاد لكى يصبح الابناء ، جديرين بآبائهم الأمجاد .

---

(1) ديوان : اسماعيل صبرى ص ١٧٢ وما يليها .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ويتخذ السيد محمد توفيق البكرى الهرمين شاهدين على عظمة المصريين شهادة لا يمكن إنكارها إذ يقول :

مُلكٌ محيطُ الأرضِ يصـ ـغرُ عن مَداه ويكبرُ
فى كلِّ صرحٍ مَخْبَرٌ وبكلِّ سفحٍ مَنظَرُ
هرَمان فيه كشاهدَيـ ـن شهادة لا تُنكر (١)

ونظر الشعر إلى الأهرام والآثار المصرية بعامة نظرة جديدة بعد إسماعيل صبرى ، تلك هى نظرة الفخر بها ؛ لأنها من صنع أيدى آبائنا وأجدادنا . وكانت هذه النظرة طبيعية لشعراء وجدوا فى عصر يريدون أن يكون من رسالة شعرهم أن يقوى الروح المعنوية فى نفوس أبناء وطنهم ، وكان فارس مجال هذه الحلبة أحمد شوقى الذى بز جميع الشعراء فى تمجيد الآثار المصرية والفخر بها ؛ فهو فى قصيدته : كبار الحوادث فى وادى النيل يقول :

وبنينا فلم نخلِّ لبانٍ
وعلَونا ، فلم يجُزْنا علاءُ

(١) صهاريج اللؤلؤ ص ٩٩ — ١٠٠ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وملكنا ، فالمالكون عبيد
والبرايا بأسرِهم أُسَراء

قُل لبان بنى ، فشادَ ، مقالة
لم يُجز مصرَ فى الزّمانِ بناء

ليس فى الممكناتِ أن تُنْقَلَ الأجـ
بالُ شُمّاً(١) ، وأن تُنَالَ السَّماء

أجفلَ(٢) الجنُّ عن عزائِم فرعو
نَ ، ودانَت لبأسِها الآناء

شادَ ما لم يَشِدْ زمان ولا أنـ
شأ عصرٌ ، ولا بنَى بنّاء

هيكلٌ تنثرُ الدّياناتُ فيه
فهى والنّاسُ والقرونُ هباء

وقبورٌ تُحَطُّ فيها اللّيالى
ويوارَى الإصباحُ والإمساء

---

(١) الأجبال : جمع جبل . والشم : جمع أشم وهو المرتفع .
(٢) اجفل : نفر وفر خائفا .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تشفِقُ الشّمسُ والكواكبُ منها
والجديدان[1] والبِلَى والفَناء
فاعذِرِ الحاسدين فيها إذا لا
موا ، فصعبٌ على الحسودِ الثناء
زعَمُوا أنّها دعائمُ شيدت
بيدِ البَغْىِ ملؤها ظلْماء
دُمِّرَ النّاسُ والرّعيَّةُ فى تشـ
ـييدِها والخلائق الأسَراء
أين كان القضاء والعدلُ والحكـ
ـمةُ والرّأىُ والنُّهَى والذّكاء
وبنو الشّمسِ مِن أعزّةِ مصر
والعلومُ الّتى بها يُستضاء
فادّعَوْا ما ادّعى أصاغرُ آثيـ
ـنا ، ودعواهمُ خناً[2] وافتراء

(١) الجديدان : الليل والنهار . (٢) الخنا الفحش فى السكلام .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ورأوا للذين سادوا وشادوا
سُبّةً أن تسخَّر الأهداء

إن يكن غيرَ ما أتوهُ فخارٌ
فأنا منك يا فَخارُ براء (١)

ولم تظفر الآثار المصرية من قبل بمثل هذا الدفاع المدعم بالحجة ، ورفع الفراعنة عن أن يكونوا قد شادوا هذا المجد بيد الظلم وتسخير الرعية . وتحس فى هذه الأبيات بروح الاعتزاز بتلك الآثار ، وبتاريخ الآباء الذين حكموا وسادوا .

وشوقى يرى الأهرام جبالا نقلها الإنسان وليس من الممكن نقل الجبال العالية ، ولا بلوغ أعنان السماء ؛ ويرى عزائم فرعون أشدّ بأساً من الجن ، فقد شاد ما لم يستطع أن يشيده أحد فى هذا الوجود . أما الهياكل التى أنشأتها مصر ، فإنها خالدة فى حين تفنى الديانات والناس والقرون . وأما القبور فإن الليالى تتكدس فيها ، ويخشاها الليل والنهار ، والبلى والفناء .

ذلك مجد باذخ أثار حسّاد مصر ، فارادوا أن يقللوا من شأنه ، فزعموا أنها بنيت بيد الظلم ، ويستبعد شوقى ذلك

(١) الشوقيات ١ : ٢ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

الزعم بما كان فى مصر من قضاء عادل ، وما كان لبنيها من حكمة وذكاء ، وما أشرق فيها من علم ناضج ، وما فى أبنائها من عزة . وليس معيباً أن يقوم الأسرى بالعمل فى إقامة هذه الآثار .

ويختم شوقى هذه الأبيات ببيت حماسى يتبرأ فيه من الفخر ان كان الفخار غيرما أتى به هؤلاء الفراعنة .

وإذا كان شوقى قد نفى عن ملوك مصر القدماء تهمة التسخير فقد نفاها قبله إسماعيل صبرى كما سبق أن رأينا .

غير أن شوقى قد سلم مرة بأن تلك الآثار قد شادها الظلم ، ولكنه ظلم فى سبيل إشادة المجد ، وبناء آثار تنبىء عن عظمة الإنسان ، حتى إن الظلم ليشرق وجهه فخرا عندما تعد تلك الآثار من صنع يديه :

هى من بناءِ الظّلمِ إلاّ أنّه
يبيضُ وجهُ الظّلمِ منه ، ويُشرِقُ
لم يرهقِ الأممَ الملوكُ بمثلِها
فخرا لهم يبقى ، وذكرا يَعْبَقُ (١)

---

(١) الشوقيات ٢ : ٨٠ . وعبق المكان بالطيب : انتشرت رائحة الطيب فيه .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وأعجب شوقى كغيره من الشعراء بالأهرام ، ويرى عليها من الجلال مالم يره على السهول والجبال ، ولها من الروعة القدسية ما للمعابد ، ويحس بأن لها روحانية ، وهذا إحساس انفرد بتصويره شوقى ، كما أنه يرى أنها قد استقرت قواعدها فوق الثرى بما أوتيه المصريون من عقل راجح ، وذكاء ، وأنها ارتفعت إلى عنان السماء بفضل ما أوتوه من خلق رفيع هو بلا شك خلق الثبات والمثابرة والطموح ، وذلك إذ يقول :

قُل للأعاجيبِ الثّلاثِ مقالةً
من هاتفٍ بمكانهنَّ وشادِ :
للهِ أنتِ ! فما رأيت على الثّرى
هذا الجلال ، ولا على الأوتاد[1]
لك كالمعابدِ روعةٌ قُدسيّةٌ
وعليك روحانيّة العُبَّادِ[2]

---

(١) الصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الصلد الضخم . والأوتاد : الجبال .

(٢) العباد جمع عابد .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أسَّستِ من أحلامِهم بقواعد
ورُفعتِ من أخلاقهم بعماد[1]

وهذا الشعور بروحانية الأهرام وقدسيتها رأيناها تظهر مرة أخرى عندما وقف عند قبر نابليون فناجاه بقوله :

قم إلى الأهرام ، واخشَعْ ، واطَّرِحْ
خيلة الصِّيدِ[2] وزهوَ الفاتحين
وتمّهل ؛ إنّما تمشى إلى
حرمِ الدّهرِ ، ومحرابِ القرون
هو كالصّخرة عند القبط ، أو
كالحطيم الطّهر عند المسلمين[3]

ويرى الأهرام توحى إلى الأجيال بمعنى الثبات والجد والكفاح ، وتلك المعانى هى التى استوحاها نابليون فى معركته ضد المماليك ، ولذلك قال شوقى وهو يحيي الطيارين الفرنسيين ،

(١) الشوقيات ١ : ١٢٩ .
(٢) الخيلة : الكبر . والصيد : الملوك .
(٣) الشوقيات ١ : ٣١٧ . والحطيم : حجر الكعبة .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

معيدا إلى أذهانهم تلك الذكرى ، وكيف جرح نابليون عزة الأهرام ، وجزته على ذلك بهزيمته فى الحرب ، وأسره ، وموته فى المنفى ، فلما عاد إلى وطنه ليدفن فيه كان جريحا فى عزته ومجده . لقد استوحى نابليون الأهرام عندما وقف على الهرم يشجع جنده : « أيها الجنود ، إن أربعين قرنا تنظر إليكم من قمة الأهرام » . ويسجل شوقى ذلك فى قوله :

أين « نَسرٌ » قد تلقّى قبلكم
عظة الأجيال من أعلى بناء
جرح الأهرامَ فى عزّتها
فمشى للقبرِ مجروحَ الإباء
أخذت تاجا بتاج ثأرها
وجزت من صلف بالكبرياء(1)

ويناجى نابليون قائلا :

وتسنّم مِنبرا من حجرٍ
لم يكن قبلَك حظَّ الخاطبين

---

(1) الشوقيات ٢ : ٢ . ويريد بالنسر : نابليون . والصلف : تمدح المرء بما ليس فيه .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وأعدها كلماتٍ أربعاً

قد أحاطت بالقرون الأربعين

ألهبت خيلا ، وحضّت فيلقا

وأحالَت عسلا صابَ المنون[1]

وإذا كان نابليون قد تلقى عظة الأهرام ، ووعى الدرس الذى أوحت به إليه فانه يثور ثورة عنيفة على المصريين الذين لم يعوا هذا الدرس ولم يصغوا إليه ، وتحس بهذه الثورة فى قوله :

عظة قومى بها أولى ، وإن

بعد العهد ، فهل يعتبرون

هذه الأهرامُ تاريخهُمو

كيف من تاريخهم لا يستحون ؟

ولم تغب صورة الأهرام عن مخيلته وهو فى مغتربه بالأندلس فنسمعه يقول فى قصيدته السينية :

وكأنّ الأهرامَ ميزانُ فرعو

نَ بيومٍ على الجبابرِ نَحْسِ

(١) الشوقيات ١ : ٣١٧ . والفيلق : الجيش العظيم . والصاب : شجر مر .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أو قناطيرُه تأنّقَ فيها
ألفُ جابٍ ، وألفُ صاحبِ مَكْسِ (١)

روعة فى الضحى ، ملاعبُ جنّ
حين يَغْشَى الدُّجى حماها ، ويُغسى (٢)

وتخيل الأهرام موازين يشير إلى ضخامة ما يوزن بها من فدية الأعداء ، وتخيلها قناطير يشير إلى ضخامة الثروة التى كانت لفراعنة مصر ، وهو فى منفاه يتخيل روعتها فى الضحا ، وما يكسوها من الرهبة إذا جن الليل ، حتى كأنها ملعب للجن . وفى التعبير بروعة فى الضحا ، تصوير لما يحمله لهذه الأهرام من الإعجاب .

ويقول فى القصيدة النونية الأندلسية أيضا :

ولم يضع حجرا بانٍ على حجر
فى الأرضِ إلاّ على آثار بانينا

(١) الجابى : الذى يجمع الخراج . والمكس : مايؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق .
(٢) الشوقيات ٢ : ٥٦ . يغسى : يظلم .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

كأنّ أهرام مصر حائط نهضت
به يدُ الدّهرِ لا بنيانُ فانينا
إيوانُه الفخمُ مِن عُليا مقاصِرِه
يُفنِى الملوكَ، ولا يُبقِى الأواوينا [1]
كأنّها ورمالا حولَها التطَمت
سفينة غرِقَتْ إلاّ أساطِينا [2]
كأنَّها تحت لألاءِ الضُحَا ذَهَب
كنوزُ «فرعون» غطَّين الموازينا [3]

فهو عندما يتخيل الأهرام وبناءها يهتف من أعماق قلبه بأن ما قام فى الأرض من حضارة فى البناء إنما وضع أسسه المصريون، بل إن ثبات الأهرام وخلودها مما يوحى بأن البانى لها إنما هو الطبيعة نفسها، وكأنما نشات بفعلها لا بيد فانية.

ولكننى لا أرى فى تشبيهها بأساطين سفينة غرقت تشبيها

(١) الأواوين : جمع إيوان.
(٢) اساطين : جمع اسطوانة، وهى سارية السفينة هنا.
(٣) الشوقيات ٢ : ١٣١.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

يبرز جلالها ، ويوحى إلى النفس بعظمتها ، وروعتها ، وليس لهذا التشبيه أثر حظ من الجمال تحس به النفس ، وإنما هو وقوف عند حد التصوير البصرى .

وفى البيت الأخير عود إلى خواطر الميزان وكنوز فرعون ، مما ألم به فى القصيدة السينية .

ولم يكتف شوقى بما أنشأه شعرا فى الأهرام ، بل كتب فى ذلك قطعة نثرية يقول فيها : « ما أنت يا أهرام ، ؟ أشواهق أجرام ؟[1] وأوضاح معالم ،[2] أم أشباح مظالم ؟ وجلائل أبنية وآثار ، أم دلائل أنانية واستئثار[3] ، وتمثالٌ منصب من الجبرية[4] ، أم مثال ضاح[5] من العبقرية ؟

يا قليل البصر ، عن مواضع العبر ، قليل البصر[6] بمواقع الآيات الكبرى قف ناج الأحجار الدوارس ، وتعلم فإن الآثار

(١) الشواهق : العالية . والاجرام : الأجسام .
(٢) الأوضاح : الغنى . والمعالم : مايستدل بها على الطريق من آثار .
(٣) استأثر بالشيء : خص به نفسه .
(٤) جبره على الشيء : ألزمه بفعله .
(٥) ضاح : ظاهر .
(٦) البصر هنا العلم .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

مدارس ، هذه الحجارة حجور لعب عليها الأول ، وهذا الصفاح صفائح[1] ممالك ودول ، وذلك الركام[2] من الرمال ، غبار أحداج[3] وأحمال ، من كل ركب ألم ثم مال .

فى هذا الحرم درج عيسى صبيا ، ومن هذا المرم خرج موسى نبيا ، وفى هذه الهالة طلع يوسف كالقمر وضيا[4] ، ووقعت بين يديه الكواكب جثياً[5] ؛ وههنا جلال الخلق وثبوته ، ونفاذ العقل وجبروته ، ومطالع الفن وبيوته وههنا تتعلم أن حسن الثناء ، مرهون بإحسان البناء .

وفى هذه القطعة ألم شوقى بعناصر أربعة :

العنصر الأول يتساءل فيه شوقى عن بناء الاهرام ، وهل هى آثار جليلة أم دلائل على الظلم والأنانية ، وشواهد على إجرام منشئيها ، وبموازنة ذلك بما سبق أن أوردناه لشوقى ، يتبين هنا

---

(١) الصفائح : الحجارة العريضة الرقيقة . والصفائح : جمع صفيحة ، وهى : الحجر العريض يسقف به القبر ، والمراد هنا القبر كله .

(٢) الركام : المتراكم .

(٣) أحداج : جمع حدج ، وهو : الحمل .

(٤) الوضى : النظيف الحسن .

(٥) جثيا : ساجدة .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تردده ، فى حين أنه كان هناك قاطعا مرة بأنه لاأثر للظلم فى بنائها ومرة بأنها ظلم يبيض منه وجه الظلم . وأرى أن جعل الأهرام أشياء يستدل بها على الطريق أمراً تافه لايتناسب مع عظمة الاهرام .

والعنصر الثانى : اتخاذ الأهرام عظة وعبرة لما مر عليها من دول ، وما شاهدته من تعاقب الممالك فى هذا الوادى ، وجعل شوقى الرمال التى حولها غبار هذا الركب المسافر من الأجيال المعاقبة .

أما العنصر الثالث فهم الأنبياء الذين رأتهم الأهرام يدرجون فى حرمها ويبعثون كموسى وعيسى ويوسف .

ويختم شوقى قطعته مبديا إعجابه بتلك الأهرام لما تدل عليه من خلق جليل أساسه المثابرة والثبوت ، ومن جبروت عقل استطاع أن ينشىء هذه المعجزات ، ومن فن رفيع كان هو مشرق الفن فى هذا الوجود .

* * *

أما خليل مطران فلم ير فى الأهرام مارآه غيره فيها من الجلال ، وما أحس به من أنها مصدر مجد وفخار ، ولكنه رآها مصدر عار لبناتها ، فإن الملوك الذين أشادوها استعبدوا أمتهم

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فى بنائها ، فاعتاد بنوها المعبودية ، فسهل على العدو استعبادهم ، وفى ذلك يقول مطران :

شاد فأعلى ، وبنى فوطّدا

لا للعُلى ، ولا له ، بل للعِدَى

مستعبدُ أمتَّهَ فى يومِه

مستعبِدُ بنِيه للعَادى غداً

ويتخيل خليل تلك الأيام التى كان العمل يجرى فى بنائها ، فيصور له الخيال عمالا كعدد الرمال لا يستطيع العد إحصاءهم ، قد اصفرت وجوههم من تعب العمل ، و نديت جباههم بالعرق ، وذبلت أجسامهم من الضنى ، فصاروا كالكلأ اليابس عليه قطرات الندى . لقد أحنى الجهد الثقيل أجسامهم يمشون فى شقاء لا يسمع لهم صوت ، مخلدين إلى الاستكانة والخضوع ، يجتمعون فيخيل إليك أنهم البحر فى اضطرابه ، ويمضى كل فريق إلى عمله ، كالجداول تنبثق من بحر ، يصعدون وينحدرون .

وهنا يتساءل مطران عن هذا الجيش اللجب من المخلوقات الفانية قد اجتمعت فى هذا القضاء لتبنى قبرا خالدا لإنسان سيفنى

ويبلغ خليل مطران الذروة فى تصوير هذا الشعور إذ يقول:

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

إنّى أرى عـدَّ الرِّمالِ ههنـا
خلائقـاً تـكـثرُ أن تُعـدَّدا

صُفرَ الوُجوهِ ناديًا جبـاهُهُم
كالـكلأ[1] اليابسِ يعلوه النَّدَى

محنيَّـةً ظهورُهُم ، خُرْسَ الخُطَى
كالنَّملِ دبَّ مستـكينا مخـلِدا[2]

مجتمعين أبحرا ، منفر عيد
ـش أنْهُراً ، منحدِرين ، صعَّدا

أكلُّ هذى الأنفسُ الملكَى غداً
تبنى لفـانٍ جدَثاً[3] مخلَّدا

تخاييل لم يلحظ فى الأهرام جلالها ، ولا جبروت عقل من أنشأها ، ولا ما فيها من روعة الفن وعظمة البناء وإنما لحظ جانب ما صحب بناءها من عسف وظلم ، وكان ذلك وحده كافيا

(١) الـكلأ : العشب .
(٢) المستكين : الخاضع الذليل . والمخلد إلى المكان المقيم فيه .
(٣) الجدث : القبر .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

لانصرافه عنها ، وتنديده بمن بناها ، وهو من أجل ذلك يسأل هؤلاء الموتى هل أفادتهم هذه الأهرام شيئاً ؟ لقد عرفت القبور التى تحصنوا فيها ، وأصبح سوقة الناس يدوسون هام الملوك ، وأجسادهم فى المتاحف معروضة يراها كل من يريد أن يرى ، أما العدو فطاغ مستبد يحكم البلاد كما يشاء[1] ؛ ونحن اليوم نحاسبهم على ما فعلوا فلم يغنهم ما رفعوه من شاهق البناء ، وكان يغنيهم عن ذلك السير بالهدى وجميل الذكر ، كما قال .

يأيُّها الموتى ، ألَمْ يُسْمِعْكُمُ
صوتُ المنادى صادِعاً مردَّدا[2]
قوموا انظرُوا السُّوقةَ فيما حولكُمْ
تدوس هاماتِ الملوكِ هُمَّدَا[3]
قوموا انظروا العدوّ فى ديارِكُمْ
يحكمُ فيها مستبدّاً أيِّدا[4]

---

(١) كان ذلك عندما أنشأ مطران قصيدته .
(٢) صدع بالحق : تكلم به جهارا .
(٣) همد القوم : ماتوا . والهامات : الرءوس .
(٤) الأيد : القوى .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

قوموا انظروا أجسادكم معروضةً
في مشهدٍ لمَن يرومُ المشهدَا
بعثٌ به يسألكمُ حسابَ ما
قدّمتمُ — من راحَ منّا — واغتدَى
لم يُغنِكمُ منه البناء عالياً
والأرضُ نهباً ، والملوكُ أعبدا (١)
وكان يُغنيكمْ جميلُ الذِّكرِ لو
حفِظتُمُ اللّحدَ ، وشِدتُم بالهُدَى
أخطأَ مَن توهَّمَ القبرَ له
حِرزاً يقيه بالرّدَى مِن الرَّدى (٢)

ولكن النظرة العادلة تدل على أن مطرانا كان فى تلك النظرة ظالما غير منصف ، فإنه على فرض أن هذه الأهرام أنشئت بالظلم فإنه ليس من العدل أن تمحى لهؤلاء الملوك كل حسنة من أجل هذه السيئة ؛ على أنه من المستبعد أن يكون الظلم هو الذى بناها

(١) أعبد : عبيد . (٢) الردى : الموت .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

مع ما عرف عن مصر فى القديم من قضاء عادل ، وما شهد به حكماؤها من العقل والذكاء ، وما كان لملوكها من اعتزاز ببنى وطنهم .

ومن الظلم ، كما فعل مطران ، أن تنسى هذه الحضارة التى أشرقت فى هذا الوجود ، وكان لها من الآثار ما لا يمكن أن ينساه التاريخ .

ولم يشارك خليلا فى هذا الإحساس أحد من الشعراء ، بل كان الاتجاه العام عندهم هو الفخر بتلك الأهرام وبناتها ، حتى هؤلاء الذين ينحدرون من أصل عربى كالشيخ محمد عبد المطلب الذى يرى فى ولادته بمصر سببا كافيا للاعتزاز بتاريخها وبناة أهرامها ، فيقول :

رويدك ، إنّا فى العلا يومَ ننتمى
كلانا أبوه النّيلُ ، أو أمُّه مصرُ
لنا آيةُ الأهرامِ يتلو قديمَها
حديثُ اللّيالى ، فهى فى فمِها ذكر
ملأنا بها وَخْ الوجودِ مناقبا
إذا ما خلا عصرٌ تلاها به عصر

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وللعلمِ من آثارِنا فى جبالِنا
على الدّهرِ آياتٌ بها ينطقُ الصَّخر

إذا جهلوا «مينا» و«خوفو» و«خفرعا»
فليس «برمسيسٍ» على مُلكِهِ نُكْرُ

لَنا كلُّ مافى الأرضِ من مدنيّةٍ
بها تعمُرُ الأمصارُ والبلدُ القَفْرُ

لَنا فى الورَى حقُّ المعلِّمِ لورعَوْا
لنا ذِمَّةً ، والدّهرُ شيمتُه الغَدْرُ (١)

وهكذا إذا استثنينا مطرانا رأينا الاعجاب بالأهرام وبناتها متوارثا على مر العصور ، ورآها الشعراء المحدثون حافزا لهم المصريين ودافعالهم إلى المجد والعلا ، ومبعثا للفخر بها ؛ لأنها أثر جليل من آثار الآباء والأجداد .

ولا تزال هذه النظرة باقية عند شعرائنا الأحياء فيما أنشئوه من شعر حول الأهرام ، وما يحفظه تلاميذنا فى مدارسهم من المحفوظات .

(١) فى الأدب الحديث ٢ : ٣١٩ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أبو الهول

قد رأينا الشعراء فيما عرضناه من الشعر يعدونه من العجائب. ورأينا بعضهم يتخيله كأنه رقيب على حبيبين يركبان هودجين، وهو خيال مجدب لا يحرك النفس، ولا يثير وجدانها؛ لأن هذا الجسد الضخم لأسد رأسه رأس إنسان أكبر من أن يقف عند حد رقيب على عاشقين؛ فهو خيال مصنوع دفع إليه الشبه البصرى بين الهودج والهرم، والذى يركب فى الهودج إنما هى المرأة فلتكن عاشقة، وليكن أبو الهول رقيباً على العاشقين.

وتخيله البارودى كأنه مشتاق إلى مطلع الفجر، وإذا كان الشاعر يرمز بذلك إلى مطلع فجر المجد للوطن كان الإحساس عميقاً.

ولعل خير قصيدة أنشئت فى أبى الهول هى تلك التى أنشأها فيه أحمد شوقى، وقد قسمها الشاعر فقرات كل فقرة تدور حول معنى، فجعل الفقرة الأولى تتحدث عن طول بقاء أبى الهول، حتى جعله الشاعر قد ولد مع الدهر، وبرغم بلوغه فى الأرض أقصى العمر، وما مر عليه من عصور متطاولة، لا يزال أبو الهول

كما كان فى أول العهد به حدثا صغير السن ، ويسائله الشاعر إلى متى يظل يطوى الأصل ويجوب الأسحار ويتنقل عبر القرون مسافرا حتى كان بينه وبين الجبال عهد أن يظلا مقيمين إلى أن يزولا يوم القيامة ، وذلك إذ يقول :

أبا الهولِ ، طال عليك العُصُر

وبلّغت فى الأرض أقصى العُمُر

فيالدة الدّهر[1] ، لا الدّهرُ شبّ

ولا أنت جاوزت حدّ الصِّغر

إلامَ ركوبُك متنَ الرمالِ

لطىّ الأصيلِ ، وجوبِ السَّحَر

تسافر منتقلاً فى القرونِ

فأيّانَ تُلقِى غُبارَ السَّفَر

أبينك عهدٌ وبينَ الجبالِ

تزُولانِ فى الموعدِ المُنْتَظَر

---

(١) لدة الدهر : من ولد معه .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وفى الفقرة الثانية يسال أبا الهول عن طول بقائه ، وهل جنى منه غير ضجر ثقيل على النفوس ، وهنا يعجب الشاعر للقمان بن عاديا ، الذى عمر عمر سبعة أنسر كان آخرها يدعى لبدا ، وكان لقمان حريصاً على هذه النسور ؛ لأن عمره مرهون بأعمارها ؛ ويزعمون أنه عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ؛ فعجب الشاعر من طول هذا البقاء . وحرص لقمان عليه، كما عجب من لبيد الذى عاش ، كما روى ، مائة وأربعين سنة ، فسئم من طول الحياة ، وقال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وسؤال هذا النّاسِ : كيف لبيد ؟

ويتعمق شوقى فى النفس الإنسانية فيراها مغرمة بطول البقاء ، كما رأى المتنبى ذلك من قبله إذ يقول :

وإذا الشّيخ قال : أفّ فما ملّ
حياةً ، وإنّما الضّعفَ ملاَّ

فيقرر شوقى أن لبيدا لو كان قصير العمر لشكا قصر حياته ، وود أن لو طال عمره ؛ وكيف بالخلود مع الحياة التى تفلّ الحديد ، وتبلى الحجر إذا دبت فيهما الحياة ، فيقول شوقى :

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أبا الهولِ ، ماذا وراء البقاءِ
إذا ما تطاولَ ، غيرُ الضّجَر

عجبتُ للقُمانَ فى حِرصِه
على لُبَدٍ والنّسورِ الأُخَر

وشكوَى لبيدٍ لطولِ الحياةِ
ولو لَم تَطُل لتشكَّى القِصَر

ولو وُجدتْ فيك يابنَ الصّفاةِ (١)
لحقتَ بصانِعك المقتدِر (٢)

فإنّ الحياةَ تفلُّ الحديد
إذا لبِسَته ، وتُبلِى الحجر

ويسائله فى الفقرة الثالثة عن السر الذى يرمز إليه إقامته وإنشاؤه ؛ فقد تحير الناس فى أمره عندما رأوا رأس إنسان على جسم أسد ، وكلما ظنوا أنهم اقتربوا من إدراك السر، عادوا فرأوا السر بعيدا عن الإدراك . ليت شعرى هل يرى شوقى

(١) الصفاة : الحجر الصلد (٢) يريد به فرعون الذى أنشأه

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أن أبا الهول رمز للإنسان فإنه برغم مايحمله من العقل يضم بين جنبيه نفس سبع مفترس ، ولننصت إليه إذ يقول :

أبا الهولِ ، ما أنتَ فى المعضلاتِ
لقد ضلّت السُّبْلَ فيكَ الفِكَر
تحيّرت البدو : ماذا تكونُ
وضلّت بِوادى الظّنُونِ الحضَر
فكنتَ لهم صورةَ العُنفُوَانِ
وكنتَ مثالَ الحِجَا والبَصَر (١)
وسرُّكَ فى حُجْبِهِ كلّما
أطلّت عليه الظّنُونُ استتر
وما راعَهُم غيرُ رأسِ الرّجالِ
على هيكَلٍ من ذَواتِ الظُّفُر
ولو صَوّرُوا من نواحِى الطِّباعِ
توَالَوْا عليكَ سِباعَ الصُّوَر

(١) العنفوان : القوة . والحجا : العقل . والبصر : التبصر فى الأمور

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فيارُبَّ وجهٍ كصافى النّميرِ[1]
تشابه حامِلُهُ والنَّمِر

ويعود الشاعر مرة أخرى عن طول عمر أبى الهول ، وما كان أجدره أن يجعل هذه المقطوعة قبل المقطوعة السابقة التى تساءل فيها عن سر أبى الهول ؛ لتكون المقطوعات التى تحدث فيها عن طول عمر أبى الهول متعاقبة متصلا بعضها ببعض .

وهو فى المقطوعة الجديدة يثبت بعض ما أصاب الدهر به أبا الهول عندما امتدت يد الأيام إلى عينيه فأتلفتهما ، فصار أعمى لا يبرح مكانه كأبى العلاء المعرى الذى سمى نفسه : رهين المحبسين ، وفى ذلك يقول شوقى :

أبا الهولِ ، ويحكَ ، لا يستقلُّ
مع الدّهرِ شىءٌ ، ولا يُحتَقَر
تهزّأتَ دهراً بديكِ الصَّباحِ[2]
فنقّرَ عينيكَ فيما نقَر

(١) النمير : الزاكى من الماء .
(٢) ديك الصباح ، يريد به الزمن

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أسال البياضَ ، وسلَّ السَّوادَ
وأوغلَ منقارَهُ فى الحُفَر
فعُدْتَ كأنّك ذو المحبِسَيْن
قطيعَ القيامِ ، سليبَ البَصَر

ويقلب الشاعر عينيه فيما حول أبى الهول من رمال ، فيتخيل لكثرتها أنها ذنوب الناس تكدست من حوله ، ويتخيله بينها كأنما هو رقيب يدبر أمر الأرض ، أو كأنه ضارب رمل يرى فى الرمل ما يكنه الغيب لهذا الوجود ، إذ يقول :

كأنّ الرّمالَ على جانبيكَ ... وبين يديكَ ذنوبُ البشر
كأنّك فيها لواء القضاءِ ... على الأرضِ أو ديدبانُ القدَر
كأنّك صاحبُ رملٍ يرى ... خبايا الغيوبِ خِلالَ السَّطَر

ويتجه شوقى إلى الناحية التاريخية ، ولما كان أبو الهول قد ولد مع الزمن فمن الواضح أنه قد شاهد أحداث العصور من أول خلق الحياة على هذا الكون ، يودع عالما قد مضى ، ويستقبل عالما جديدا ، فعين تستقبل وأخرى تودع ، فلا غرابة إذا استنبأه الشاعر أمر الذين مضوا منذ فجر التاريخ ، وفى ذلك يقول :

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أبا الهولِ ، أنت نديمُ الزّمانِ
نجىُّ الأوانِ سميرُ العُصُر
بسطت ذراعيك من آدمٍ
ووَلَّيْتَ وجهَكَ شَطْرَ الزُّمَر[1]
تُطِلُّ على عالَمٍ يستهلُّ
وتوفى على عالَمٍ يُحْتَضَر[2]
فعينٌ إلى مَن بدا للوجودِ
وأخرى مشيِّعَةٌ مَن عَبَر
فحدِّثْ ، فقد يُهْتَدَى بالحديثِ
وخبِّر ، فقد يُؤْتَسَى[3] بالخبر

ويسائله الشاعر عن الدول التى قامت فى هذا الوادى منذ عصر الفراعنة إلى العهد الذى أنشأ فيه شوقى قصيدته .

والشاعر يرى عصر الفراعنة عصر عزة وحضارة ، ومجد

(١) الزمر : جمع زمرة ، وهى : الجماعة .
(٢) يستهل : يقدم على الدنيا . ويحتضر : ينزل به الموت .
(٣) ائتسى به : اقتدى .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وآثار جليلة ، أسس فيها الفراعنة كل ما أجدى وأثمر : يقول الشاعر لأبى الهول :

أَلَمْ تبلُ فرعونَ فى عزِّهِ إلى الشَّمسِ معتزياً والقَمَر
ظليلَ الحضارة فى الأوّلينَ رفيعَ البناءِ جليلَ الأثَر
يؤسِّسُ فى الأرض للغابِرينَ ويغرسُ للآخَرينَ الثَّمَر

وأنه من الطبيعى بعد أن رأى أبو الهول هذه الحضارة الظليلة أن يرتاع ويفزع عندما يرى هذه الحضارة تنهار تحت سنابك خيل لجيش غاز يدمر البلاد ، ويروع الساكنين :

وراعَكَ ما راعَ من خيـل قمبيـ
ـز ، ترمى سنابكُها بالشَّرَر
جوارفُ بالنّـارِ تَغـزو البـلادَ
وآونـةً بالقَنـا المشْتَجِـر

أما الإسكندر الأكبر فقد رآه أبو الهول فى أوج المجد وهو شاب ناضر الشباب ، غير أنه لم يبق فى الملك طويلا :

وأبصرت إسكندرا فى المَـلاَ
قَشيبَ العُلاَ فى الشّبابِ النَّضِـر

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تألق في مصر إكليله (١)
فلم يَعْدُ في الملكِ عمرَ الزَّهَر

وشر ما بليت به مصر حكم الرومان ، فقد استبد قيصر ، وأذل الرقاب ، وتجبر أعوانه ، وساموا الناس الخسف والهوان حتى جاء العرب قليلين في عددهم ، نبلاء في أخلاقهم ، فحطموا تاج قيصر ، وهزموا جموعه ، وقوضوا عرشه ، وهكذا أذل الدهر من كبريائه :

وشاهدتَ قيصرَ كيف استبدّ
وكيف أذلَّ بمصرَ القَصَر (٢)

وكيف تجبّر أعوانُهُ
وساقُوا الخلائق سوق الُحُمر

وكيفَ ابتُلُوا بقليل العَديدِ
من الفاتحينَ ، كريمِ النَّفَر

رمىَ تاجَ قيصرَ رمىَ الزُّجاجِ
وفَلَّ الجموعَ ، وثَلَّ السُّرُر (٣)

---

(١) إكليله : تاجه . (٢) القصر : الأعناق .
(٣) ثل : كسر . والسرر : العروش .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فدَعْ كلَّ طاغيـةٍ للزمانِ
فإنَّ الزّمانَ يُقيـمُ الصَّعَر (١)

ومر شوقى فى هذه الأبيات القليلة بمعظم الدول التى رآها أبو الهول فى مصر ، حتى جاءت الاشارة إلى العرب الفاتحين الذين جاءوا بدين جديد ، فكان ذلك مثيرا لذكرى الديانات التى رآها أبو الهول فى الوادى منذ نهضت فيه عبادة « إيزيس » إلى أن جاء عمرو ومعه القرآن وصحابة الرسول ؛ وكل ذلك فى خطوات سريعة كأنما هى لمحات من خواطر قد أمعنت فى بعد سحيق ، وذلك إذ يقول :

رأيـتَ الدّياناتِ فى نظمِهـا
وحينَ وهَى سلـكُها ، وانتثَر (٢)
تشادُ البيوتُ لهـا كالبروجِ
إذا أخذ الطّرفُ فيها انحسر (٣)

---

(١) الصعر : ميل العنق كبراً .
(٢) يريد فى حالتى قوتها وضعفها .
(٣) انحسر : كل .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تَلاَقَى أساساً وشُمَّ الجبالِ
كما تتلاقَى أصولُ الشّجر

و « إيزيس » خلف مقاصيرها
تخطّى الملوكُ إليها السُّتُر

تُضيء على صَفَحَاتِ السَّماء
وتُشْرِقُ فى الأرضِ منها الُحجَر

و « آبيس » فى نيرِه العالَمونَ
وبعضُ العقائدِ نيرٌ عَسِر

تُساسُ به مُعْضِلاتُ الأمورِ
ويُرْجَى النعيمُ ، ويخشى سقَر

ولا يشعُرُ القومُ إلاّ بهِ
ولو أخذته المُدَى ما شَعَر

يقلُّ أبو المسكِ عبداً له
وإن صاغَ أحمد فيه الدُّرَر(١)

---

(١) أبو المسك : كافور الأخشيدى وأحمد : المتنبي .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وآنستَ موسى وتابوتَهُ
ونورَ العَصَا ، والوصايا الغُرَر
وعيسى يلمُّ رداء الحياء
ومريم تجمعُ ذيلَ الخفَر(١)
وعمرو يسوق بمصر الصِّحابَ
ويُزجى الكتابَ ، ويحدو السُّوَر
فكيف رأيتَ الهُدَى والضَّلالَ
ودنيا الملوكِ ، وأخرى عُمَر
ونبذ المقوقسِ عَهْدَ الفجورِ
وأخذَ المقوقسِ عهد الفجر(٢)
وتبديله ظلماتِ الضَّلالِ
بصبح الهدايةِ لما سفر(٣)
وتأليفه القبطَ والمسلمينَ
كما ألَّفت بالولاءِ الأُسَر

(١) الخفر : الحياء (٢) عهد الفجر : عهد الخير والنور .
(٣) سفر : أضاء .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وواضح من هذا الشعر أن شوقى يعطف على الديانات التى قامت فى مصر إذا استثنينا عبادة العجل آبيس ، فهو يرى فيها نيراً عسراً ، ويسخر بعبادته . على العكس من « إيزيس » فهو يعطف على عبادة قدماء المصريين لها . وهى رمز « للقمر » ولذلك يقول شوقى : إنها تضىء على صفحات السماء ، فإذا عبدت فى الأرض أشرقت بعبادتها مقاصير الهياكل ؛ وقد حدثنا الشاعر فى همزيته أن عبادة « إيزيس » قد انتقلت من مصر إلى غيرها من الأقطار ، ومنها اليونان :

فإذا قيل : ما مَفَاخِرُ مصرٍ
قيل : منها إيزيسُها الغراء(١)

وينتقل الشاعر ليتحدث عن حاضر أبى الهول ، ويجعله حياً يحس ويشعر بما يجرى فى الحياة الحاضرة من حوله ، بعد أن أعاد إليه ذكريات الماضى جميعها ، فيراه رمزاً للوفاء . فقد أطال وقوفه عند الهرمين ، وهنا يتخيله حزيناً مسرفاً فى الحزن ، كأم فقدت ولدها . ولِمَ لا يسرف فى حزنه ، وهو يرجو أوبة مَن بنى الهرمين ، ولكن تلك العودة مستحيلة فقد صاروا رمّة

(١) الشوقيات ١ : ١١ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

بالية ؛ وكيف لا يكون حزينا ، وهو يجوس بعينه خلال الديار ، وفوق نهر النيل ، يريد أن يرى فى « منف » عاصمة مصر القديمة ما اعتاد أن يراه من جيش ضخم ، ذى عُـدَّةٍ وعديد ، يمثّل عظمة مصر ، وقوة سلطانها ، ويلتمس ما ألفه فيها من علم وفن بلغا ذروة التقدم ، ونالا من المصريين أوفى عناية ورعاية ولكن أبا الهول لا يلبث أن يعود كسير القلب . حزين النفس عندما يرى هذه العاصمة المجيدة لم تعد سوى قرية ضئيلة ، لا يكسبها الجمال سوى آثارها الدارسة ، وقد أغرقت فى سبات عميق وجمود إلى درجة أن الأرض تكاد تنساها إذا دارت ، وتحس بهذا الخاطر المؤلم فى قول شوقى :

أبا الهـولِ ، لو لم تكُن آيةً
لـكان وفاؤك إحـدَى العِـبَرْ
أطلتَ على الهرمـين الوقـوفَ
كثاكِلَـةٍ لا تَـرِيمُ الحفـر (١)
تُرَجِّى لبانيهما عـودةً
وكيف يعودُ الرَّمـيمُ النَّخِر (٢)

---

(١) الثاكلة : من فقدت ولدها . ولا تريم : لاتبرح . والحفر : القبور

(٢) الرميم : البالى . والنخر : المتفتت .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تجوسُ بعينٍ خلالَ الدِّيارِ
وترمى بأخرى فضاءَ النَّهَر

ترومُ بمنفيسَ بيضَ الظُّبَا
وسُمْرَ القَنَا ، والخَميسَ الدَّثَر (١)

ومهدَ العلومِ الخطيرَ الجلالِ
وعهدَ الفُنونِ الجليلَ الخطر

فلا تستبينُ سوى قريةٍ
أجدَّ محاسنَها ما اندثر (٢)

تَكادُ لإغراقِها فى الجمودِ
إذا الأرضُ دارت بها لم تَدُرْ

ولكن نغمة الألم هذه لا يلبث أن يتلوها روح من الرجاء والأمل ، يبدد ظلمة اليأس ، وينشر نوراً من التفاؤل فى مستقبل مشرق بالتقدم ، مزدهر بنيل الآمال ؛ فيتمنى شوقى أن لو علم الآباء أن بنيهم قد اقتدوا بسيرهم ، ومضوا يطلبون المجد ،

(١) بيض الظبا : السيوف . وسمر القنا : الرماح . والخميس المدثر الجيش الكثير . (٢) أى يجدد محاسنها ما اندثر من آثارها .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ويقدمون له أغلى ما يملكون ، وأنهم ركبوا الشدائد فى سبيل الوصول إلى أهدافهم ، ووضعوا ثقتهم فى أيدٍ أمينة ذكية بعيدة النظر . تستطيع أن تبين عنه بالحجة البالغة . وإذا لم يكن لمصر أسطول ضخم تفتخر به يومئذ ، فإنها تفتخر بدستورها .

إن هذه الآمال فى نظر شوقى قد ملأت الناس ابتهاجا وغبطة واستخفهم بها السرور ، حتى لم يبق من لم يستخفه الطرب غير أبى الهول ، وهو لذلك يختم القصيدة طالباً إليه أن يتحرك ، فقد تحرك كل شىء فى هذا الزمان حتى الحجر الذى لا حياة فيه وتسمع جمال هذا الرجاء فى قول شوقى :

فهل مَن يُبلِّغُ عنَّا الأصولَ
بأنّ الفُروعَ اقتدت بالسِّيَر
وأنّا خطينا حِسانَ العُلاَ
وسُقْناَ لها الغالِيَ المدَّخَرَ
وأنّا ركبنا غِمَارَ الأمور
وأنّا نزلْنا إلى المؤتمر(١)

(١) غمار الأمور : شدائدها .. ويريد بالمؤتمر مؤتمر الصلح الذى عقد بعد الحرب العالمية الأولى ، وقد أرسلت مصر إليه وفدا يطالب بحقوقها

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

بكلِّ مبينٍ شَديدِ اللَّدادِ
وكلِّ أريبٍ بعيدِ النّظر(١)

نطالب بالحقِّ فى أمَّةٍ
جرَى دمُها دونه ، وانتشر

ولم تفتخر بأساطيلها
ولكن بدُستورِها تفتخر

فلم يبقَ غيرُكَ مَن لَم يخِفَّ
ولم يبقَ غيرُكَ مَن لم يَطِرْ

تحرَّكْ أبا الهَوْلِ ، هذا الزّمانُ
تحرَّكَ ما فيه حتّى الحجر

ويستمر شوقى فى نغمة الرجاء عندما ينشىء شعراً على لسان أبى الهول ، فما يكاد الشاعر يتم القصيدة حتى يجيب أبو الهول :

نَجِىَّ أبى الهوْلِ ، آنَ الأوانُ
ودان الزّمانُ ، ولانَ القدَر

---

(١) شديد اللداد : شديد الخصومة والجدل ، ولا يغلب فى الأريب العاقل :

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

خبأتُ لقومِكَ ما يستقونَ
ولا يخبأ العـذبَ مثلُ الحجَر
فعنـدى الملوكُ بأعيانِهـا
وعنـد التوابيتِ منهـا الأثرَ
محـا ظلمةَ اليأسِ صبحُ الرّجاء
وهـذا هـو الفَلَقُ (١) المُنتَظَرَ

فأبو الهول يطمئنه بأنه قد آن الآوان بان يتحقق رجاء البلاد ، وأن تتبدد ظلمة اليأس ، ويعده بأنه قد خبأ له حياة عذبة مقبلة ، كما تتجلى روح الفداء والأمل فى مستقبل مشرق فى هذا النشيد الذى يلقيه أمام أبى الهول فتى وفتاة يمثلان الجيل الناشىء ، فيقولان :

اليومَ نسودُ بِوادينا ونُعيدُ محاسِنَ ماضينا
ويشيد العزَّ بأيدينـا وطنٌ نفديه ، ويفدينا
وطنٌ بالحـقِّ نؤيّدُه وبعـينِ اللهِ نُشيِّدُه
ونُحسِّنـُه ، ونزَيِّنـُه بمـآثِرِنا ، ومساعينا

(١) الفلق . الصبح .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

سرُّ التّاريخ وعنصرُهُ ... وسريرُ الدّهرِ ومِنبَرُهُ
وجنانُ الخلدِ وكوثره ... وكفَى الآباء رياحينا
نتّخِذُ الشّمسَ له تاجَا ... وضُحاها عرشاً وهّاجا
وسماء السُّؤدُدِ أبراجا ... وكذلك كان أوالينا
العصرُ يراكُمُ والأُمم ... والكرنكُ يلحظُ والهرَمُ
أبنى الأوطانِ ألاَ هِمَمُ ... كبناء الأوّلِ يبنينا
سعيا أبدا، سعيا، سعيا ... لأثيلِ (١) المجدِ وللعَليا
ولنجعل مصرَ هى الدّنيا ... ولنجعل مصرَ هى الدّينا (٢)

وهو نشيد عامر بالأمل والطموح إلى سيادة وإعادة أمجاد الماضى، وتشييد عظمة الوطن، وتأييد حقه، وتجميله بالسعى والعمل، ولِمَ لا وهو يضم سر التاريخ، وفى أرضه نهضت حضارة الإنسان فى قديم الزمان، وهو جنة الخلد، ونيله كوثر هذه الجنة، وذكرى آبائنا عطرة فى صفحات التاريخ. إنه جدير بأن يكون تاجه من الشمس، وعرشه من الضحا، وأن يرقى بنوه فى سماء السؤدد كما كان آباهم من قبل.

---

(١) المجد الأثيل. المتأصل.

(٢) الشوقيات ١. ١٥٣ — ١٦٦.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ويشهد النشيد على بنى الوطن العصر والناس والكرنك والهرم ، لكى يكون لهم همم تبنى ، كما كان آباؤهم من قبل يبنون ، ويختم شوقى نشيده بالدعوة إلى السعى لبناء المجد ، وأن تصبح مصر للمصريين دينهم ودنياهم .

وفى هذا النشيد يجعل الشاعر الماضى المجيد وسيلة لحفز الهمم لبناء مستقبل مشرق سعيد جدير بهذا الماضى .

وإذا نحن وازنا بين الآمال التى كانت تجول بالنفوس يوم أنشأ شوقى قصيدته وبين ما وصلنا إليه اليوم رأينا المدى الشاسع الذى وصلنا إليه فى تحقيق أهداف كانت تجول فى النفس رغبات وآمالا .

وكما أن الأهرام لم تبرح خيال شوقى وهو مغترب بالأندلس كما ذكرنا ، لم يبرح أبو الهول خياله كذلك ، ففى قصيدته السينية الأندلسية يقول عنه :

و « رهينُ الرِّمالِ » أفطسُ إلاّ
أنّه صُنْعُ جِنّةٍ غيرِ فُطْسِ (١)

(١) فطس الرجل : تكامنت قصبة أنفه ، وانتشرت فى وجهه ، فهو أفطس .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تتجلّى حقيقةُ النّاسِ فيـه
سَبُعُ الخلقِ فى أساريرِ إنسِى

لعِبَ الدّهرُ فى ثراهُ صَبِيًّا
واللّيالى كواعِباً غيرَ عُنْسِ (١)

ركبتْ صُيّدُ المقاديرِ عينيـ
ـهِ لنقدٍ ، ومِخْلَبَيْهِ لفَرْسِ (٢)

فأصابَت به المَمالكَ (كسرى)
و(هِرَقْلاً) و (العَبقرىَّ الفرنسى) (٣)

فالشاعر فى مغتربه يتخيله بأنفه الأفطس ، ويضع فى كلمة «جن» مايحمله لصانعيه من معانى الإكبار والتبجيل والإعجاب لأنه يستبعد أن يكون صانعوه من الإنس . ويراه ممثلا لحقيقة الناس ؛ فهم يحملون وجه آدمى ، وفى أعماقهم أخلاق السباع

---

(١) عنس : جمع عانس ، وهى الفتاة التى طال سكنها فى أهلها ولم تتزوج .

(٢) صيد . جمع صائد . والفرس . الافتراس .

(٣) الشوقيات ٢ . ٥٦ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وطباعهم . ويرى القدر على قوة سلطانه قد استعار عينيه لينقد بهما الناس ، واستعار مخلبيه ، ليبطش بهما ، فأضاب كسرى وهرقل ونابليون .

وقد رأينا شوقى بعدئذ يردد فكرته فى تصوير أبى الهول لحقيقة الناس فى قصيدته المطولة الرائية عن أبى الهول ، كما سبق أن رأينا .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

الهياكل

واسترعت معابد مصر المقامة على ضفتى الوادى أنظار بعض الشعراء ، وبخاصة إسماعيل صبرى وشوقى .

أما إسماعيل صبرى فيرى تلك الهياكل المقامة فى المدن المصرية تشهد بما للمصريين من سبق فى المدنية ، ومبالغة فى إتقان العمل ، ويرى أن مجد إقامتها ، وماتدل عليه من الحول والمقدرة يتقاسم الفخر فيه فرعون وقومه المصريون ، والشاعر بذلك يرد الفضل إلى أصحابه ، ولا يبخس الذين شادوا تلك الهياكل بسواعدهم حقهم من الثناء والتبجيل .

ويرى أن كل حجر فى تلك الهياكل ينهض شاهدا على تلك العبقرية الخالدة . ويحس وهو يقف أمامها ، والناس خاشعون حيالها كأنما هى صحف من غير هذا العالم الذى نعيش فيه .

ويصور صبرى مادار حول جدرانها من صور تفصح عما أراده منشئوها من المعانى . إنها صور كثيرة مفرطة فى الكثرة لدرجة أنها لو كانت ذوات أصوات لروعت بصوتها الصم من الإنس والجان .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ويتساءل الشاعر عن بناة هذه الهياكل الذين سجلوا سيرتهم في الصخور ، وشادوا من الآثار مايتضاءل أمامه آثار كل ملك فوق هذه الأرض . لقد بادوا أو بادت دول جاءت من بعدهم ، ولكنهم خلفوا من الآثار ماهو خالد يقف فى ثبات يحارب الدهر ، ويقوى على مجالدة الزمان .

ويثور الشاعر على العلم الحديث الذى سطا على بناة هذه الهياكل ، فجنى عليهم ، وهتك أستارهم ، واقتحم جلالهم ، وأخرجهم من قبورهم إلى حيث يعرضون على الناس فى المتاحف ؛ وكان الأجدر بجلالهم أن يظلوا حيث كانوا ، متحجبين بأستار من الوقار والجلال ، ولنصغ إلى إسماعيل صبرى إذ يقول :

تلك الهياكِلُ فى الأمصارِ شاهدةٌ
بأنّهم أهلُ سبق ، أهلُ إمعان(١)

وأنّ فِرعونَ فى حولٍ ومقدِرةٍ
وقومَ فِرعونَ فى الإقدام كفئان

---

(١) يريد بالإمعان : الاتقان .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

إذا أقام عليهم شـاهداً حجرٌ
في هيكلٍ قامت الأخرى ببرهانِ
كأنّما هيَ ، والأقوامُ خاشعـةٌ
أمامهـا صُحُفٌ من عالَمٍ ثانِ
تستقبلُ العـينَ في أثنائِها صورٌ
فصيحةُ الرّمزِ دارت حولَ جُدْرانِ
لو أنّها أُعطِيَتْ صوتا لـكان له
صَدًى يرُوِّعُ صُمَّ الإنسِ والجانِ

* * *

أين الألَى سجّلوا في الصَّخرِ سيرَتَهُم
وصغّرُوا كلَّ ذي مُلْكٍ وسُلطانِ
بادُوا ، وبادت على آثارِهِمْ دُوَلٌ
وأُدْرِجُوا طَيَّ أخبـارٍ وأكفانِ
وخلّفوا بعـدهم حرباً مخـلَّدَةً
في الـكونِ ما بينَ أحجارٍ وأزمانِ

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وزُحزحُوا عن بقايا مجدِهم ، وسطاً
عليهم العلمُ ، ذاكَ الجاهلُ الجانى
ويلٌ له ، هتك الأستارَ مقتحِماً
جـلالَ أكرمِ آثارٍ وأعيـانِ
لَلجَهلُ أرجـحُ منـه فى جهالَتِهِ
إذا هُما وُزِناَ يوماً بمـيزانِ(١)

ويدل الشعر على لهفة الشاعر أن يبقى للفراعنة جلالهم ، وألا يستباح لهم وقار .

ويقف شوقى أمام هذه الهياكل كما وقف إسماعيل صبرى معجبا بما لها من جلال وروعة ، فيتساءل عن أصحاب هذه الهياكل التى ارتفع بها البانى ، حتى رسا أصلها فى الأرض ، وارتفع ذراها إلى الثريا فى السماء ، لقد بدا بعضها كالحصن ، وبعضها كالجبل الأشم ؛ إنها تظهر جديدة كأول العهد بها ، ومن حولها يبدو القِـدَمُ على كل شىء حتى على الأرض الفضاء .

---

(١) ديوان إسماعيل صبرى ص ١٧٥

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

إنها هياكل ضخمة يحس الشاعر كأن الدنيا مُتعبة بحملها ، وكأن الأرض ضيقة عن سعتها . وهى أبعد من أن تصل إليها يد الفناء ، لايدرى كيف يصل إليها ، أو يتمكن من تحطيمها ؛ ولِمَ لا ؟ وهى ثابتة فى الأرض كأنها الطود ، قد نهض محلقا فى السماء ؛ وإذا كان قد بنيت بالظلم ، فإنه ظلم مشرق مضنى ، لم يرهق الملوك أمما بمثلها ؛ لأنها فخر خالد للأمم ، وذكر لا يبيد .

لقد فتن الناس بهذه الهياكل ، يحج إليها القاصى ، ويرمقها المقيمون بعين من الإكبار والتبجيل ، وزادها مر العصور مهابة وجلالا ، يحس بهما الزائر ، ويشم فيها عبير القِدم .

ولكنه يرى التماثيل على سرُرِها متقابلة ، قد لبست رداء من الذل والإهمال ، قد علاها التراب ، وما كان يفوح منها سوى رائحة العطر وأخلاط الطيب . لقد وطئت حجراتها المقدسة ، وهتك البلى أستارها ومزقها ، وأفنى الزمان حليها وزينتها ، ومع ذلك حسنها باق ، وشبابها دائم .

لقد كان لهذه التماثيل معان يدركها عبادها ، وقد نسيت هذه المعانى ، فلو بعث فرعون ، وعاد إلى الحياة لعجب من أن

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

هذه التماثيل لم يعد الناس يدركون معانيها ، أو يفهمون ماترمز إليه وفى هذا يقول شوقى :

وَلِمَنْ هيا كلُ قد علا البانى بها
بين الثُريّا والثَّرى تتنسّقُ (١)

منها المشيّدُ كالبُروجِ ، وبعضُها
كالطَّوْدِ مضطَجعٌ ، أشمُّ منطَّقُ (٢)

جُدُدٌ كأوّلِ عهدِها ، وحِيَالَهاَ
تتقادمُ الأرضُ الفضاءُ وتعتُقُ (٣)

من كلِّ ثِقَـلٍ كاهلُ الدُّنيا به
تَعِبٌ ، ووجهُ الأرضِ عنه ضَيِّقُ (٤)

---

(١) تتنسق : تنتظم .
(٢) البرج : الحصن . والطود : الجبل . والأشم : المرتفع . والمنطق : العالى الذى لايبلغ السحاب رأسه .
(٣) حيالها : بإزائها . وتعتق: تقدم .
(٤) الكاهل : أعلى الظهر مما يلى العنق .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

عالٍ على باعِ البِلَى ، لا يهتَدِى
ما يعتَلِى منــه ، وما يتسلَّقُ(١)

متمكِّنٍ كالطّودِ أصلا فى الثّرى
والفرعُ فى حَرَمِ السَّماءِ محلِّقُ(٢)

هىَ مِن بنــاءِ الظّـلمِ إلاّ أنّه
يبيضُّ وجهُ الظُّلمِ منه ، ويشرقُ

لم يرهقِ الأممَ الملوكُ بمثلِها
فخرا لهم يبقى ، وذكرا يَعْبَقُ(٣)

فُتِنَتْ بشطَّيكَ العبادُ ، فلم يزَلْ
قاصٍ يحجُّهمَا ، ودانٍ يرمُقُ(٤)

---

(١) الباع : قدر مد اليدين . وتسلق الجدار : صعد عليه.

(٢) حرم السماء : مالا تبيح السماء أن ينتهكه أحد . ومحلق : مرتفع .

(٣) يعبق : تنتشر رائحة طيبة .

(٤) القاصى : البعيد . ويرمق : يطيل النظر .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وتضرَّعَتْ مِسكَ الدُّهورِ (١)، كأنَّما
في كلِّ ناحيةٍ بَخُورٌ يُحْرَق
وتقابلَت فيها على السُّرُرِ الدُّمَى
مستردياتِ الذُّلِّ لا تتفنَّق (٢)
عَطِلَتْ، وكان مكانُهُنَّ من العُلَى
(بِلْقِيسُ) تقبس من حلاه، وتسرق (٣)
وعلا عليهنَّ التّرابُ، ولم يكن
يزكو بهنَّ سوى العبيرِ، ويلبَق (٤)
حُجُراتُها موطوءةٌ، وستورُها
مهتوكةٌ، بيدِ البِلَى تتخرّق (٥)

(١) يريد: انتشرت رائحة القدم الطيبة كأنها المسك.

(٢) الدمى: جمع دمية، وهى الصورة الجميلة، ويريد هنا التماثيل. ومستدديات: لابسات. وتتفنق: تتنم.

(٣) عطلت: ليس عليها حلى. و «بلقيس»: ملكة سبأ. وتقبس: تأخذ.

(٤) يزكو: يليق. والعبير: أخلاط من الطيب. ويلبق: يليق.

(٥) مهتوكة: ممزقة.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أودَى بزينتِها الزّمانُ وحليها
والحسنُ باقٍ، والشّبابُ الرّيّقُ(١)

لو رُدَّ فرعونُ الغداةَ لراعه
أنّ الغرانيقَ العُلَى لا تنطِقُ(٢)

وقد خلّد شوقى من بين هذه الهيا كل قصر أنس الوجود، الذى قال عنه شوقى: إنّه «الأثر المحتضَر، الذى جمع العِبَر، ومحاه الدّهر أو كاد، وكان إحدى آياته الكبرى، هيا كل لفرعون و بطليموس، توارثها عن الكهنة القسوس، وصارت للمسيح، وكانت لهوروس(٣)، ثم ظهر الأذان فيها على النّاقوس؛ ثمّ لا تكون عشيّة أو ضحاها حتّى يهوِىَ فى الماء كلّ حجر كان يقبَّلُ كالأسود(٤)، وكلّ ركن كان يُستَلَمُ كالحطيم(٥)

---

(١) أودى: أفنى. والريق من كل شيء: أوله.

(٢) الغرانيق: جمع غرنيق: وهو: الشاب الجميل، ويريد بها هنا. التماثيل.

(٣) هوروس: هو ابن إيزيس من ابنها وزوجها: أوزيريس.

(٤) يريد به الحجر الأسود الذى بالكعبة.

(٥) الحطيم: جدار حجر الكعبة.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وقد أنشأ شوقى فى هذا الهيكل قصيدة خالدة ، سيظل فيها خالداً ما بقى الزمان ، كما خلدت قصيدة البحترى إيوان كسرى .

وهو فى مطلع قصيدته يطلب إلى رائد هذا الأثر الخالد الذى أحس به الشاعر عالى القدر رفيع المكانة كالثريا فى السماء — أن يدخل الهيكل خاشعا خافض الطرف يملؤه الجلال والمهابة ، فيقول :

أيّها المُنتحى بأسوان داراً
كالثُّريّا تريد أن تنقضّا

اخلع النَّعْلَ ، واخفض الطّرفَ ، واخشَعْ
لا تُحاوِلْ من آيةِ الدّهرِ غضّا

ويصف شوقى هذا الأثر الجليل ، فيرى بعضه قد أمسك ببعض ، كأنها قد خافت الغرق فأرادت أن يسند بعضها بعضا . إن قصور أنس الوجود يبدو بعضها ويخفى بعضها الآخر ، فى روعة وجمال كأنها العذارى السابحات .

إنها اليوم مشرفة على الزوال ، وكانت من قبل تنهض رافعة الرأس فى فخر وتيه تعلو كواكب السماء ، لقد قدمت وتقادم العهد بها ، ولكن الفن الذى يتجلى فيها لا يزال غضا ناضرا كأول العهد

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

به ؛ فرب نقش فى هذا الأثر ، كأنما انتهى الصانع أمس من إتمامه ، ورب طلاء لا يزال زيته مضيئا مشرقا ، وخطوط دقيقة كأهداب العين وقد صنعها ، وحسن طولها وعرضها ، ورسم ضحايا قد أتقن صنعها إلى درجة أن الله لو نفخ فيها من الروح لصارت أحياء تمشى ، ومحاريب كأنها الحصون بناها قوم لهم عزمات الجن ، وحجرات كان المسك يفت فى أرضها ، واليواقيت تزين أرضها ، فأبدلت بذلك التراب والحصى .

إن التخريب حظ هذه القصور فى يومها ، فى حين أنها كانت بالأمس يصرف الملوك منها حظوظ الناس ، فيرفعون ويضعون ، حتى أصبح النحس الخالص من نصيبها .

ويختم شوقى هذا الجزء من قصيدته بصيحة إعجاب من هذه الصنعة التى تملأ العقول بالدهشة ، ومن هذا الفن الذى كان فرضا على المصرى أن يتقنه ، واستمع إلى شوقى إذ يقول :

قف بتلك القصور فى اليم غرقى

ممسكا بعضها من الذعر بعضا

كعذارى أُخفِينَ فى الماءِ بضًا

سابحاتٍ به ، وأبدَينَ بضّا[1]

مُشرفاتٍ على الزَّوالِ ، وكانت

مشرفاتٍ على الكواكبِ نَهْضَا

شابَ مِن حولِها الزّمانُ ، وشابت

وشبابُ الفنونِ ما زال غَضَّا

ربّ نَقْشٍ كأنّما نفض الصّا

نعُ منه اليدين بالأمسِ نفضا

ودِهانٍ كلامعِ الزّيت مرّتْ

أعصُرٌ بالسِّراجِ والزَّيتِ وُضَّا[2]

وخُطوطٍ كأنّها هُدبُ ريمٍ[3]

حسُنَت صنعةً وطولا وعرضا

(١) البض : الرخص الجسد . (٢) وضا : وضاء .

(٣) الريم : الغزالى .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وضحايا تكادُ تَمشي وترعَى
لو أصابت من قدرةِ اللهِ نَبَضَا

ومحاريبَ كالبروجِ بَنَتْهـا
عزماتٌ من عزمةِ الجنِّ أمضى (1)

شيّدت بعضَها الفراعينُ زُلفَى
وبنى البعضَ أجنب يترضَّى (2)

ومقاصيرَ أبدِلَت بفُتاتِ الـ
ـمِسكِ تُرْباً، وباليواقيتِ قضا (3)

حظُّهـا اليومَ هـدّةٌ، وقديماً
صُرِّفَت فى الحظوظِ رفعا وخفضا

شقَتِ العالمَين بالسَّعدِ والنَّحـ
ـسِ إلى أن تعاطتِ النحسَ محضا (4)

---

(1) أمضى : أنفذ وأتم .

(2) زلفى : تقربا . ويترضى : يطلب الرضا .

(3) القضة : الحصى . (4) المحض : الخالص .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

صنعة تُدْهِشُ العقولَ وفنٌّ
كانَ إتقانُهُ على القومِ فرضا

ويناجى شوقى تلك القصور الغريقة فى النيل ، وهى على وشك أن تتهاوى فملكه الحزن فبكى .

إنه يراها سطرا فى كتاب أمجاد مصر ، ويتألم كيف فض البلى ذلك الكتاب الذى كان مصونا ، فكشف عن أسرار كان الفراعنة أنفسهم لا يدركونها لغموضها .

ويدعو شوقى من صميم فؤاده أن يظل لتلك القصور جلالها وعظمتها ، وألا تنزل عن سماء عليائها ، فقد حارت عقول المهندسين فى بنائها . وعجز العلم عن إدراك أسرارها .

ويسألها الشاعر عما شاهدته فى ماضيها من ملك عال ، وحضارة مترفة . وعما رأته من مواكب لفرعون كان بعضها يتلو بعضا ، إذ كان يمضى لفتح الممالك ، أو لإشادة الحضارة فى أيام السلم . وعما كان لأيزيس من ملك عريض ، وتقديس وعبادة ، ثم أصبحت اليوم لا حامى لها ولا ناصر لها على ماتلاقيه من نوائب الزمان . لقد صارت أسيرة سجن فى البحر لاتستطيع الخلاص . واستمع إلى تلك المناجاة إذ يقول الشاعر :

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

يا قصورا نظرتُها ، وهى تفضى[1]
فسكبتُ الدموعَ ، والحقُّ يُقضى
أنتِ سطرٌ ، ومجدُ مصرَ كتابٌ
كيف سامَ البِلَى كتابَكِ فضّا
وأنا المحتفِى بتاريخِ مصر
مَن يَصُنْ مجدَ قومِهِ صانَ عِرضا
رُبَّ سِرٍّ بجانبيكِ مُزَالِ[2]
كان حقّى على الفراعينِ غَمْضا
قل لها فى الدّعاءِ لو كان يُجْدى
يا سماء الجلالِ ، لا صرتِ أرضا
حار فيكِ المهندسون عقولا
وتولتْ عزائمُ العِلم مرضى

---

(١) تفضى : تغنى .
(٢) مزال : مكشوف .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أينَ مُلكٌ حيالهـا وفريدٌ
من نظامِ النّعيمِ أصبحَ فضّاً[1]
أين فرعونُ فى المواكبِ تترى
يركُضُ المالـكين كالخيل ركضا
ساق للفتـح فى الممالك عرضاً
وجلا للفَخَارِ فى السِّلْمِ عَرضا
أين « إيزيسُ » تحتها النّيلُ يجرى
حكَمت فيـه شاطئين وعرضـا
أسدلَ الطَّرفَ كاهِنٌ ومليكٌ
فى ثراها ، وأرسلَ الرّأسَ خفضا
يُعْرَضُ المالـكون أسرى عليها
فى قيودِ الهوانِ عانينَ جَرْضَى[2]
ما لَهاَ أصبَحَت بغـير مُجيرٍ
تشتـكِى من نوائبِ الدّهرِ عضّا

(١) فضا : مفضوضا . (٢) جرضى : مغمومين .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

مى فى الأسرِ بين صخرٍ وبحرٍ
ملكةٌ فى السّجونِ فوقَ حَضَوْضى (١)

أين « هوروس » بين سيفٍ ونِطعٍ
أبهذا فى شرعهم كان يُقضَى (٢)

وهكذا خلد الشعر تلك الهياكل الضخمة فى بنائها ، المليئة بأسرارها والتى كانت مقر عبادة آلهة المصريين القديمة ، وموطن خشوعهم وتقديسهم . وقد راع الشعراء فيها تلك الضخامة ودقة الصنع وإحكام البناء .

وصور الشعر ما أحس به الشعراء من الإجلال والتقديس لدى هذه الهياكل المقدسة ، وما أثارت فى نفوسهم من ذكريات تاريخية مجيدة .

---

(١) حضوضى : جبل فى البحر . (٢) الشوقيات ٦٨١٢ .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

المقابر

وكانت عناية المصريين القدماء بمقابرهم من ناحية حفرها في أعماق الصخور — مثار التفكير العميق .

وقد وقف شوقي متأملا في هذه الظاهرة ، معجبا بعنايتهم البالغة بتلك القبور ، فقد أقاموها بحيث لايستطيع البلى أن يمسها وكأنهم عندما رقدوا في تلك المقابر قد تحجبوا بالهيبة تحت الثرى ، كما كانوا وهم أحياء يحتجبون بهيبة لاتزال أستارها ، لقد عرفوا حقيقة الحياة ، وأدركوا أنها سر مغلق ، فأحاطوا أنفسهم بالأسرار المغلقة . وآمنوا بأن السعادة لا يمكن أن تتحقق إلا بادراك الخلود ، فعملوا على أن ينالوه . فكانت بيوتهم التي يعيشون فيها أكواخا تفنى كهذه الحياة الفانية ، في حين أن الحياة الآخرة هي الباقية الخالدة فبنوا لهذه الحياة قبورا كالقصور الشم يبنونها من الصخور الصلدة ، فيبدو ظاهرها جميلا رائعا كجمال هذه الحياة الدنيا ، ويختبىء في باطنها حياة أخرى خالدة ، يعيش فيها الملوك مخلدين لا يعرف البلى سبيلا إلى أجسامهم ، فوراء هذه الأسوار التي نراها أسرار مختبئة ،

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فإذا دخلت هذه القبور رأيت كأنها فنادق تمتلىء بالزاد ، رحبة لا تضيق بسكانها ، يقول شوقى :

أين الفراعنةُ الألَى استذرى بهم
عيسى، ويوسُفُ، والكليمُ المصْعَقُ[1]
الموردون النّاسَ منهلَ حكمةٍ
أفضَى إليه الأنبياء ليستقوا[2]
الرّافعون إلى الضّحا آباءهم
فالشّمسُ أصلُهُم الوضِىء المعرِق[3]
وكأنّما بين البِلَى وقبورِهِم
عهدٌ على أن لامساسَ ومَوْثِقُ[4]

(١) استذرى بهم : استظل بهم ، والتجأ إليهم . والمصعق : المغشى عليه .
(٢) المنهل : المورد . وأفضى إليه : وصل إليه .
(٣) الوضىء : النظيف الحسن . والمعرق : العريق فى النسب .
(٤) لامساس : لا تمس . والموثق : العهد .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فحجابُهُم تحت الثّرَى من هيبةٍ
كحجابِهم فوقَ الثّرى لا يُخرَقُ

بلغوا الحقيقةَ من حيـاة علمُها
حجبٌ مـكثفة ، وسِرٌ مُغْلَقُ

وتبيَنّوا معنى الوجودِ ، فلم يرَوْا
دونَ الخـلودِ سعادةً تتحقق

يبنون للدّنيـا كما تبنى لهم
خِرَباً غرابُ البينِ فيها ينعَقُ (١)

فقصورُهم كوخٌ وبيتُ بداوةٍ
وقبورُهم صرحٌ أشمٌ وجوسق (٢)

رفعوا لها من جندلٍ وصفائحٍ
عَمَـداً ، فـكانت حائطا لا ينتِقُ (٣)

---

(١) خرب جمع خربة ، وهى : موضع الخراب .
(٢) الصرح : كل بناء عال . والأشم : المرتفع .والجوسق : النصر
(٣) الجندل : الحجارة . والصفائح : جمع صفيحة ، وهى الحجر العريض . وينتق : يتزعزع .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تتشايع[1] الدّاران فيه ؛ فما بدا
دنيا ، وما لم يَبْدُ أخرى تصدقُ
للموتِ مرٌّ تحته ، وجداره
سورٌ على السّرِّ الخفيِّ ، وخندق
وكأنّ منزلَهم بأعماقِ الثرى
بين المَحَلَّةِ[2] والمَحَلَّةِ فندق
موفورةٌ تحت الثَّرى أزوادُهُم[3]
رَحْبٌ بهم بين الكهوفِ المطبَقُ

ويصف شوقى فى هذه القصيدة حج الناس إلى هذه القبور، وكيف يأتون إلى « طيبة » عاصمة مصر القديمة فى جماعات تضيق بها المدن والقرى ، ويملئون البر برواحلهم والبحر

(١) تشايع القوم على الأمر : توافقوا .
(٢) المحلة : المنزل .
(٣) الأزواد : جمع زاد ، الشوقيات ٢:٧٩ وهو الطعام . والمطبق السجن تحت الأرض .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

بسفنهم ، حتى إذا ألقوا عصا التسيار بمعبدها المقدس ، وفوا نذورهم . وتقاربوا إلى المتهم ، وتصدقوا بما معهم ، ثم جرت الزوارق بالحجيج مسرعة من شاطىء يعج بالحياة إلى الشاطىء الآخر وهو وادى الملوك حيث يرقد آباؤهم وأجدادهم ، وحيث تغرب أرواحهم كما تغرب الشمس ، وحيث يتساوى الناس عظيمهم وحقيرهم فى لقاء الموت ، وحيث تتناثر القبور على الرحب كأنها قطع السحاب . إنهم ينتقلون من زخرف الحياة على شاطىء طيبة ، إلى شاطىء يضىء فيه سناء الحق كأنه الصبح ، يعنو له الملوك ، فيخلعون رداء العظمة والجلال ، ويمشون على أقدامهم تكريما لهؤلاء الموتى ، ويخشع الغنى والفقير ، ويضيق وادى الملوك بسا كنيه ، حتى كأنما قد بعث فيه الموتى ، ويظل الأحياء مع موتاهم يتنادمون كأنهم لم يفترقوا . وشوقى يصور ذلك إذ يقول :

وإذا همُو حجّوا القبور حسبتهم
وفد « العتيقِ » بهم ترامَى الأيْنُقُ (١)

(١) العتيق : البيت الحرام . والأينق : جمع ناقة .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

يأتون « طيبة » بالهـدىً أمامهم
يغشى المدائن والقرى ويُطَبِّقُ [1]

فالبرُّ مشدودُ الرّواحلِ محدَجٌ
والبحرُ ممدودُ الشّراعِ مُوَسَّقُ [2]

حتّى إذا ألقَوْا بهيكلها العصـا
وفّوا النّذورَ ، وقرّبوا ، واصّدّقوا

وجرت زوارقُ بالحجيـج كأنّهـا
رُقْطٌ [3] تدافعَ ، أو سِهامٌ تمرُقُ

مِن شاطئٍ فيه الحياةُ لشاطئٍ
هو مضجَعٌ للسّابقين ، ومِرْفَقُ [4]

غربوا غروبَ الشّمسِ فيه، واستوى
شاهٌ ورُخٌّ في التراب وبَيْدَقُ [5]

---

(١) الهدى : ما يهدى إلى البيت الحرام . ويطبق : يغطى .

(٢) محدج : موثق .

(٣) الرقط : جمع رقطاء ، وهى : الحية .

(٤) المرفق : المتكأ .

(٥) الشاه والرخ والبيدق . قطع شطرنج .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

حيث القبورُ على الفضاءِ كأنَّها
قِطَعُ السَّحابِ، أو السَّرابُ الدَّيسَق[(٤)]

للحقِّ فيــه جولة ، وله سناً
كالصُّبحِ من جنباتِها يتفلَّق[(٥)]

نزلوا بها ، فمشى الملوكُ كرامةً
وجثا المُدِلُّ بمالِه والمُملِق[(٦)]

ضاقت بهم عرَصاتُها ، فكأنَّما
ردَّت ودائعَها الفلاةُ الفيهَق[(٧)]

وتنادم الأحياء والموتى بها فكأنَّهم فى الدَّهر لم يتفرَّقوا

وهو شعر يعطينا صورة حية لما كان يحدث فى تلك الأزمان من عناية الناس بزيارة هيكل طيبة وقبور وادى الملوك. كما فسر الشعر قبله سر عناية المصريين القدماء بقبورهم أكثر من بيوتهم التى يعيشون فيها .

(١) الديسق : بياض السراب .

(٢) يتفلق : يظهر .

(٣) جثا : جلس على ركبتيه . والمدل : المعجب . والمملق : الفقير .

(٤) الفيهق : الواسعة .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

توت عنخ آمون

ومن تلك المقابر التى ظفرت بعناية شوقى وإبداعه مقبرة توت عنخ آمون وما وجد فيها من آثار ظفرت بإعجاب العالم أجمع عندما كشف عنها.

وقد نظم شوقى فيها عدة قصائد:

منها تلك القصيدة التى بدأها بمناجاة الشمس وسؤالها عما حدث فى القرون الماضية ؛ لأنها رأت مصارع الأمم ، وسقوطها فجدير بها أن تروى الأخبار ، وتعرف أنساب الناس ، وهى التى تلدثم تأكل ما ولدت ، وفى ذلك يقول شوقى:

قفى يا أختَ يوشَعَ خبِّرينا
أحاديثَ القرونِ الغابرينا [1]
وقُصِّى من مصارِعِهم علينا ومن دُوَلاَتِهم ما تعلمينا [2]

(١) أخت يوشع: الشمس يشير إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى الذى كان يقاتل الجبارين ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم. والقرون الغابرين: الأجيال الماضية.

(٢) مصارعهم: مهالكهم ودولاتهم «بضم فتح»: دواهيهم.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فمثلك من روى الأخبارَ طُرًّا
ومن نسب القبائل أجمعينا[1]

نرى لكِ في السَّماء خضيبَ قَرْنٍ
ولا نُحْصِي على الأرضِ الطَّعينا[2]

مَشَيْتِ على الشّبابِ شواظ نارٍ
ودُرْتِ على المشيبِ رحىً طحُونا[3]

تُعينين الموالدَ والمنايا
وتبنين الحياةَ وتهدِمينا

فيالكِ هِرَّةً أكَلَت بنيها
وما ولدوا ، وتنتظر الجنينا

وهذه المناجاة مناسبة كل المناسبة لحديثه عن هذا الملك المصرى القديم ، فهو كما زعموا ، ينحدر من الشمس من ناحية

(١) نسب القبائل ذكر أنسابهم .

(٢) الخضيب : الملون بالخضاب . والقرن : حاجب الشمس . والطعين المطعون .

(٣) الشواظ : دخان النار .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وقد شاهدت الشمس ملكه وملك آبائه ومن جاء بعده من ناحية ثانية .

وينتقل شوقى من مناجاته للشمس واهبة الحياة والموت إلى حديثه إليها أما لملوك مصر القديمة ، مباهيا بهؤلاء الملوك ، ممتلىء القلب إعجابا بأمجادهم ، فقد رآهم ملوكا جديرين بالملك ، أناروا الأرض بحضارتهم ، حينما كانت الدنيا فى ظلام دامس ، وكان الناس يعيشون فى ضلال مبين ، أخذت روما من حضارتهم ، واقتبست أثينا من نور علمهم ، إذ يقول :

أأمَّ المالكين بنى أمون
ليَهنِكِ أنَّهم نَزَعُوا[1] أمونا
ولدتِ له المآمين الدَّواهى
ولم تلِدِى له قطُّ الأمينا[2]
فكانوا الشُّهْبَ حينَ الأرضُ ليلٌ
وحين النَّاسُ جِدُّ مضَلَّلينا

---

(١) نزعوا : أشبهوا .

(٢) المآمين : جمع مأمون . والشاعر يشير إلى الخليفتين الأمين والمأمون .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

مشَتْ بمنارِهِمْ فى الأرضِ روما ومن أنوارهم قبست أثينا

ويمضى شوقى مليئا بالفخر يتحدث عن هؤلاء الملوك ، الذين اتخذوا قبورهم فى وادى الملوك ، محجبين كما كانوا فى حياتهم محجبين بالجلال ، إنهم اليوم مقيدون فى حياتهم تساق لهم الملوك أسرى فى القيود والأغلال ؛ وتنطلق صيحة إعجاب من شوقى بهم ، فيرى أن أعمالهم المجيدة خارقة للسعادة كأنها السحر ، ويرى من مظاهر هذا السحر أنهم ينطقون الحجر الأصم بما يقومون به من إتقان تنطق بما يراد منها . لقد أغرموا بالخلود ، فعمدوا إلى بناء الآثار الخالدة التى تقوم على دعائم من الخلق المتين وإتقان ما يصنعون وإن الخلد لا ينال فى سهولة ويسر ، لأنه يحتاج إلى الهمم الكبيرة والعبقرية الخارقة التى يمجدها التاريخ ، وتدع الدنيا لسان ثناء ، وأذنا تصغى إلى مجد الخالدين .

ملوك الدّهر بالوادى أقاموا

على وادى الملوك محجّبينا

فربّ مُصَفَّدٍ منهم ، وكانت

تسَاقُ له الملوكُ مصفَّدينا (١)

(١) مصفدين : مقيدين .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تقيّد فى التّرابِ بغير قيد
وحلّ على جوانبه رهينا
تعالى الله كان السُّخْرُ فيهم
أليسوا للحجارة مُنْطِقينا
غدَوْا يبنون ما يبقَى ، وراحُوا
وراء الآبداتِ مخلّدينا
إذا عمدوا لمأثُرةٍ أعدّوا
لها الإتقانَ والخلق المتينا
وليس الخلدُ مرتبةً تُلَقّى
وتؤخَذُ مِن شِفاهِ الجاهلينا
ولكن منتهى هِمَمٍ كِبار
إذا ذهبَتْ مصادِرُها بقينا
وسرُّ العبقريّة حين يسرى
فينتظمُ الصّنائعَ والفنونا

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وآثارُ الرِّجالِ إذا تناهَتْ
إلى التّاريخ خيرِ الحاكمينا
وأخذُك من فمِ الدنيا ثناءً
وتركُكَ في مسامعِها طنينا

ويعقد شوقى موازنة بين شباب اليوم وشباب الأمس ؛ فيرى شباب اليوم قانعين بالكلام دون العمل ، ويغالون فى تقدير ما يفعلون ، وإن كان ضئيلا ، فيسخط شوقى ، ويقول :

فغالِ فى بنيك الصِّيد غالى
فقد حُبَّ الغلوُّ إلى بنينا
شَبابٌ قُنَّعٌ لا خيرَ فيهم
وبورك فى الشّبابِ الطّامحينا

ويعود إلى الفخر بعرش مصر القديم الذى كان أخا لعرش الشمس وكان يتحلى بالعزة والجلال ، ويقوم على دعائم من القوة فى البر والبحر ، ويكلأ أمجاد ملوكه من أمثال رمسيس وخوفو ومينا ، الذين ارتفعت رءوسهم عزة وكبرياء ، وأبوا أن يخضعوا وأن يذلوا :

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فناجيهم بعرش كان صِنوّا
لعَرشِكَ في شبيبته سَفِينا (١)
وكان العزّ حليته ، وكانت
قوائمُه الكتائبَ والسّفينا
وتاجٍ من فرائِده ابن سيتى
ومِن خرزَاية خوفو ومينا (٢)
عَلاَ خَدًّا به صَعَرٌ ، وأنفا
ترفّع في الحوادثِ أن يدينا (٣)

ويتعرض شوقى للدفاع عن هؤلاء الملوك ، ويرد على من زعم أنهم ظلموا الرعية ،وعسفوا بالعمال وجلدوا الخدم فى سبيل إقامة هذه الآثار ، وذلك أننا فى أيامنا التى نعيش فيها نا قصون فلا يليق بنا أن نطالب الأولين بالكمال ، وليس أدل على هذا النقص من سجن الباستيل بفرنسا ، فقد كان يخفى وراء جدرانه

(١) الصنو : الأخ . السنين من يكون سنك .
(٢) ابن سيتى : رمسيس الثانى .
(٣) الصعر : الكبد . ويدين . يخضع .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

سجناء أكل الحديد أجسامهم ، ومن هذه البيع التى ارتفعت على أكتاف الظلم والسخرة وكم ارتكب فى بنائها من ألوان القسوة، برغم أنها شيدت لرسول الحب والحنان :

ولستُ بقائلٍ : ظلموا ، وجاروا
على الأُجَرَاءِ ، أو جلَدُوا القطينا (١)

فإنّا لم نوَقِّ النّقصَ ، حتّى
نُطالب بالكمالِ الأوّلينا

وما البستيل إلاّ بنت أمسٍ
وكم أكل الحديدُ بها سجينا

ورُبّتَ بيعةٍ (٢) عزّتْ ، وطالَتْ
بناها النَّاسُ أمسِ مسخّرينا

مشيّدَةً لِشافي العُمْيِ عيسى
وكم سمل (٣) القسوسُ بها عيونا

(١) القطين : الخدم .
(٢) البيعة : معبد النصارى واليهود .
(٣) سمل عينه : فقأها .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وبعد حديثه إلى اللود كارنا فون الذى كشف عن قبر توت عنخ آمون ، وتسجيله ما ذاع من أخذ بعض كنوز هذا القبر يأتى الحديث عن قبر الملك الدفين ، فيخصه بالتحية ، ويرى القبر لحسنه وطيبه تكاد حجارته تضىء ، ويكاد طيبه تنتشر له رائحة زكية ، ويخيل لرائيه أن حجارته لقداستها قد اقتطعت من جبل طور سيناء الذى تجلى الرب عنده لموسى .

لقد كان نزيله يدعى ملكا ، فصار اليوم يسمى كنزا ثمينا ، لكن ذلك لا يحول دون الهتاف له كما كان بنو شعبه يهتفون ، إذ لم ينقص له مقدار ، فلا تزال له مهابته وجلاله الذى استمر برغم مرور القرون الأربعين التى مرت منذ عهده ، بل إن جلال الملك أيام تنقضى ، ولا ينقضى جلال الخالدين .

ويرحب شوقى بالملك القادم ، ويحيى مقدمه المبارك ، ويهدى إليه السلام يوم مات ، ويوم كشف قبره . لقد ظهر إلى الوجود كما ظهر عيسى ، عليه جلالة ووقار ، وأخذ اسمه يجوب أرجاء العالم سهوله وجباله :

خليلىّ ، اهبطا الوادى ، وميلا

إلى غرَفِ الشّموسِ الغار بينا

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وسيرا فى محاجرِهم(١) رويداً
وطوفا بالمضَاجِع خاشعينا
وخَصّا بالعَمار وبالتّحايا
رُفاتَ المجدِ من توتنخِمينا
وقبراً كادَ من حُسْنٍ وطِيب
يُضِيء حجارةً ، ويضوعُ(٢) طينا
يُخَالُ لروعَةِ التّاريخ قُدَّت
جنادلُهُ العُلاَ من (طورسينا)
وكان نزيلُهُ بالمَلِكِ يُدْعَى
فصار يقلَّبُ الكنز الثمينا
وقوما هاتفين به ، ولكن
كما كان الأوائل يهتفونا
فثمّ جلالة قرّت ، ورامت(٣)
على مرّ القرونِ الأربعينا

(١) المحاجر : ما يحجر الملوك حول منازلهم .
(٢) يضوع : تنتشر رائحته الطيبة . (٣) رامت : دامت .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

جلالُ الملكِ أيّامٌ ، وتمضى
ولا يمضى جلالُ الخالدين

وقولا للتّزيل : قدوم سعدٍ
وحَيَّا اللهُ مقدمَك اليمينا(١)

سلامٌ يومَ وارتكَ المنـايا
بواديها ، ويوم ظهرتَ

خرجتَ من القبورِ خروج عيسى
عليك جلالةٌ فى العالَمينا

يجوبُ البرقُ باسمِك كلَّ سهلٍ
ويخترقُ البخارُ به الحُزُونا(٢)

ويسأل شوقى توت عنخ آمون عن فراقه لهذه الحياة الدنيا أكان قصيراً كأنه سنة نوم ، أم طال فاستغرق السنين الطوال ، وكيف قطع فى ظلام القبر ليلا طويل الأمد ، لا يصل المرء إلى صبحه إلا بعد عناء ، وضنى ، ويسأله عن سر الاحتفاظ

---

(١) اليمين : المبارك .
(٢) يجوب يقطع . والحزون جمع حزن وهو : ماغلظ من الأرض .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

بالجسد بعد موته، وهل ذلك لأن النفوس تبقى ما دامت أجسامها باقية، وتغنى إذا فنيت هذه الأجسام.

ويسأله عن قباب هذا القبر، وكيف ظلت مجهولة طول هذه القرون، إنها قباب ملساء يظنها الرائى برجا مدفونا فى باطن الأرض، امتلأ بالأثاث فصار كأنه القصر، وتغطى بالصور فبدا كأنه المعبد.

ويعجب شوقى من حرص الملك على أن يدفن العرش معه، فهل ذلك لأنه يؤمل عودة إلى الحياة، ويكون له حينئذ ملك ودولة، أو لأنه سيبقى لكن وهو جالس على عرشه فى حين يلقاه الناس مترجلين.

ويعجب من الطعام وقد ظل ذا رائحة طيبة ومذاق طيب كما تركته أيدى صانعيه. لقد كان الملك لا يصبر عن الطعام يوما فكيف صبر هذه المئين من الأحقاب؟

ثم يقول للملك: لقد حدث ما كان قومك يخافون؛ لأن الإنسان يحب أن ينبش أخاه حيا وهالكا، وها أنت ذا قد أخرجت من القبر يوم البعث، وسوف يأتى اليوم الذى تبعث فيه حقا إذا كان بعثك ليس بهذا البعث الموعود.

وما قيمة صيانة جسمك بعد الموت، إنك لا تحس بأذى

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

بعد أن تفارق الحياة ، ولا تشعر بالم ، وإنما يشعر بذلك الأحياء . ولننصت إلى هذه المفاجاة الرائعة ، إذ يقول شوقى :

تعالَ اليومَ خبّرنا ، أكانت
نواكَ سِنَاتِ نومٍ أم سنينا (١)
وماذا جُبْتَ من ظُلُماتِ ليلٍ
بعيدِ الصُّبْح يُنْضِى المدْلجينا (٢)
وهل تبقى النفوسُ إذا أقامت
هيا ِكلُها ، وتَبْلَى إن بلينا
وما تلك القبابُ وأين كانت
وكيف أضلّ حافرُها القرونا
ممرّدَةَ (٣) البناءِ تُختالُ بُرْجاً
ببطنِ الأرضِ محطوطا دفينا

---

(١) نواك . بعدك . والسنات : جمع سنة ، وهى . النعاس .
(٢) ينضى . يهزل . والمدلج : السائر من اول الليل .
(٣) ممردة : ملساء .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تَغَطَّى بالأثاثِ ، فكان قصدا
وبالصُّوَرِ العِتاقِ ، فكان زُونا(١)

حَملتَ العَرْشَ فيه ، فهل تُرَجِّى
وتأمُلُ دولةً في الغابرين(٢)

وهل تلقى المهيمنَ فوقَ عرشٍ
ويلقاه المَلاَ مترجِّلينا

وما بال الطّعامِ يكادُ يُقْدَى(٣)
كما تركته أيدى الصّانعينا

ولم تكُ أمسِ تصبر عنه يوماً
فكيف صبرتَ أحقابا(٤) مئينا

لقد كان الذى حذر الأوالى
وخاف بنو زمانِك أن يكونا

---

(١) العتاق : القديمة . والزون : موضع تجمع فيه الأصنام
(٢) الغابرين . الباقين .
(٣) يقدى : تطيب رائحته وطعمه .
(٤) الأحقاب : جمع حقب ، وهو ثمانون سنة ، أو الدهر .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

يحبُ المرء نبشَ أخيه ميتاً
ويَنبشه ، ولو فى الهالكينا

سُلِلْتَ من الحفائرِ قبل يوم
يَسُلُّ من التّراب الهامدينا

فإِن تكُ عند بعث فيه شَكٌّ
فإِنّ وراءه البعثَ اليقينا

ولو لم يعصموك لكان خيرا
كفى بالموتِ معتصَما حصينا

يُضَرُّ أخو الحياةِ ، وليس شىء
بضائِره إذا صحِبَ المنونا

ثم يحدث الملك بأن الحكم المطلق قد انقضى ، وحل مكانه حكم الشعب لنفسه ، وأصبح الملوك ينزلون على حكم رعاياهم . وهكذا لم ينس شوقى وهو فى غمرة الفخر تلك اللمحة إلى ما حدث فى الحكم من تطور وتجديد . وذلك إذ يقول :

زمانُ الفَردِ يا فِرعون ولَّى
ودالت[1] دولةُ المتجبّرينا

---

(١) دالت : انقلبت من حال إلى حال .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وأصبحتَ الرّعاةَ بكلِّ أرضٍ
على حكمِ الرّعيّةِ نازلينا[1]

أما القصيدة الثانية فقد تحدث فيها عن توت عنخ آمون ، وهو فى مجال ذكرى مكتشف قبره : « كارنارفون » . وهو فى هذه القصيدة يتحدث عن أوبة الملك المصرى القديم ، وأنها ليست أوبة البعث ، ويرجو أن يترك حيث هو فى قبره بعيداً عن مظاهر الحكم والسلطان ، لا أن يحمل ، كما كان يحمل فى حياته ، فوق الرقاب ؛ لأن الحاكم المستبد يطاق فى قبره لا فوق عرشه :

ما آب جبّارُ القرونِ ، وإنّما
يومُ الحسابِ يكون يومَ إيابه[2]
فذروه فى بلد العجائب مُغمَداً
لا تُشهِرُوه كأمسِ فوقَ رِقابه[3]

(١) الشوقيات ١ : ٣٣٤ .

(٢) آب : رجع .

(٣) ذروه : اتركوه . وبلد العجائب :الأقصر . ومغمدا : متروكافى قبره . كالسيف يترك فى غمده . ولا تشهروه : من شهرالسيف:إذا سله.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

المستبدُّ يطـاقُ فى ناووسِـهِ
لا تحت تاجَيه ، وفوق وِثابه(١)

والفردُ يؤمَنُ شرُّه فى قبرِه
كالسيفِ نام الشَّرُّ خلفَ قِرابه(٢)

ويستبعد الشاعر فى هذه القصيدة أن يكون توت عنخ آمون قد تقمصت روحه بعوضة حقيرة لدغت كارنارفون وقتلته ، لأن الملك المصرى وفى لصحبه ولا يمكن أن يكون ذلك جزاء من كشف عن قبره ، وعرف الناس به :

هل كان « توتنخ » تقمّص روحُهُ
قُمُصَ البَعُوضِ ومستَخَسَّ إهابه(٣)

أو كان يجزيك الرّدَى عن صحبةٍ
وهو القـديمُ وفاؤه لِصحابه(٤)

---

(١) ناووسه : قبره . ووثابه : سريره .

(٢) قراب السيف : غمده .

(٣) تقمص روحه قمص البعوض : لبسها . والقمص : جمع قميص . والمستخس : الخسيس . والإرهاب : الجلد .

(٤) الردى : الهلاك .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تالله ، لو أهدى لك الهرمين من
ذهبٍ لكان أقلّ ما تجزى به
أنت البشيرُ به ، وقيِّمُ قصرِه
ومُقَدَّمُ النبلاءِ من حُجَّابه(1)
أعلَمتَ أقوامَ الزّمانِ مكانَه
وحشدتهم في ساحِه ورحابِه
لولا بنانك في طلاسم تُرْبِه
ما زاد في شرفٍ على أترابه(2)

ويصف الشاعر ما قام به اللورد الراحل من جهود ، فقد فض الختم فأرانا أزماناً متطاولة ، ونقلنا إلى فجر التاريخ ، وكر راجعاً إلى العصور القديمة حتى انتقل إلى فرعون في حياته العادية بين الطعام والشراب ، متخذاً عرشه من عود المندل الطيب الرائحة ، ومحليا ثيابه باللؤلؤ الباهر الضياء ، وكأنما الفاكهة قد جناها الجاني صباح اليوم لم يصبها تغير . لقد حوى القبر ما لم يستطع قصر غمدان أن يحويه ، يقول شوقي :

(1) قيم القصر : القائم بأمره . والحجاب : جمع حاجب .
(2) الأتراب : جمع ترب ، وهو من ولد معه .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أفضى الحِمامُ على أبيهِ همَّةِ نفسِه
في المجدِ والباني على أحسابِهِ

أفضَى إلى خَتْمِ الزمانِ ففضَّهُ
وحبا إلى التَّاريخِ في محرابِهِ

وطوَى القرونَ القهقرى ، حتّى أتى
فرعونَ بين طعامِه وشرابِهِ

المِندَلُ الفيَّاحُ عودُ سريرِه
واللؤلؤُ اللَّمَّاحُ وشيُ ثيابِه(١)

وكأنَّ راح القاطفين فرغن من
أثماره صبحا ، ومن أرطابه(٢)

---

(١) المندل : عود طيب الرائحة . الفياح : شديد انتشار الرائحة . واللماح : شديد اللمعان . والوشى : النقش .

(٢) الراح : جمع راحة ، وهى : الكف . والقاطفون : من يجنون الثمار . والأثمار : جمع ثمر . والأرطاب جمع رطب ، وهو . ما نضج من البلح .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

جَدَثٌ حوى ما ضاقَ « غمدان » به
من هالةِ المُلكِ الجسيمِ وغابِه(1)
بنيانُ عُمرانٍ ، وصرحُ حضارةٍ
في القبرِ يلتقيان في أطنابه(2)
فترى الزّمانَ هناكَ قبل مشيبه
مثلَ الزّمانِ اليومَ بعد شبابه
وتحسُّ ثمّ العلمَ عند عُبابه
تحت الثّرى ، والفنّ عند عجابه(3)

والشاعر هنا معجب بما في القبر من آثار ، ويراها مظاهر عمران وحضارة باذخة ، لا تقل عن هذه الحضارة التي نعيش اليوم فيها ، وتريك هذه الآثار أنها ثمرة علم ناضج متبحر ، وفن تجاوز غاية الإعجاب .

---

(1) غمدان : قصر كان مشهورا بناه احد ملوك اليمن . والهالة : دارة القمر . والغاب : جمع غابة .

(2) الأطناب : جمع طنب ، وهو : الناحية هنا .

(3) العباب : ارتفاع السيل والعجاب : ما جاوز حد العجب .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ويؤكد هذا المعنى فى القصيدة نفسها ، فيقول :

أخرجت من قبرٍ كتاب حضارةٍ
الفنّ والإعجاز من أبوابِه(١)

وخص شوقى توت عنخ آمون وحضارة عصره بقصيدة مطولة أخرى ، بدأها بالحديث عن هذا الكنز الذى مضت عليه القرون ، فازداد بعضها قدراً وقيمة . إنه كالسيف قد مضى الزمان عليه فى غمده ، حيث يقيم فى مكان كأنه الغيب المكنون لا تصل إليه الظنون ، حتى جاء العلم فكشف سره المصون . وأهل العلم كأهل بدر حلال لهم كل ما يصنعون .

لقد كشف العلم عن حضارة رائعة . وفن رفيع ، واندس العلم يزيح الظلام عن أسرار هذه المخبآت ، وتلك الحفر المظلمة وهذه الحجر التى تشبه المعاقل المرتفعة ، والحصون العالية التى لا تهتدى إليها الريح العاصفة ، ولا الغيث المدرار ، وقد لجا إليها الملك يستأمنها على نفسه وثروته ، نخانت هذه الأمانة يوم باحت بسرها الدفين .

درجَت على الكنز القرون وأتت على الدّنّ السِّنون(٢)

---

(١) الشوقيات ١ : ٧٩ وما يليها .

(٢) الدن : وعاء الخمر .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

خيرَ السُّيُوفِ مضى الزّما ... نُ عليه فى خيرِ الجفون(١)
فى منزل كمحجّب ال ... غيبِ استسرَّ عن الظنون(٢)
حتّى أتى العلمُ الجسو ... رُ ، ففضّ خاتمَهُ المصُون
والعلمُ « بدرىّ » آحِـ ... ـلَّ لأهله ما يصنعون
هتك الحِجالَ(٣) على الحضا ... رةِ ، والحذورَ على الفنون
واندسَّ كالمصباحِ فى ... حُفَرِ من الأجداث جون(٤)
حجَرٌ ممرّدةٌ المما ... قلِ فى الثّرى شُمُّ الحصون(٥)
لا تهتدى الرّيحُ الهبُو ... بُ لها، ولا الغيثُ الهتون(٦)
خانت أمانةَ جارِها ... والقبرُ ، كالدّنيا ، يخون

وينتقل شوقى إلى مناجاة للملك المصرى ، ويبدو فى هذه

---

(١) الجفن : غمد : السيف .
(٢) استسر : توارى .
(٣) روى ان أهل بدر قد غفرت لهم ذنوبهم .
(٤) الحجال : جمع حجلة ، وهى ستر العروس .
(٥) الأجداث : القبور وجون . سود .
(٦) ممردة : مصقولة ملساء . والشم : العالية .
(٧) الهتون : المتتابع المطر .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

المناجاة الحب والاعجاب ، إذ يرى المصريين القدماء قد انفردوا بين العالم كله بحب الخلود ، فربى ذلك فى نفوسهم خلقاً يتميزون به من بين الناس جميعاً هو إتقانهم لكل مايصنعون ، ورغبتهم فى إحسان ما يعملون .

وإذا كان الهدف الذى يسعون إليه هو الخلود ، فإنهم ليسوا كالناس يعيشون بعد موت ، ويسألهم شوقى أيسبقون العالم يوم القيامة ، كما كانوا السابقين فى هذه الحياة الدنيا ؟

ويبدو إعجاب شوقى بالغاً عندما يجعل المصريين القدماء أصل الحضارة ، والمحسنين فى إشادة أركانها ، والمتقنين الذين نالوا الخلود بسبب هذا الاتقان .

وتلمس الحب العميق ، والاعجاب البالغ ، عندما يقول شوقى ، مناجياً توت عنخ آمون :

يابنَ الثّواقبِ من « رَعٍ » وابنَ الزّواهرِ من « آمون »
نَسَبٌ عريقٌ فى الضُّحَى بذَّ(١) القبائلَ والبطون
أرأيت كيف يثوبُ مِن غَمْرِ القضاءِ المغرَقون(٢)
وتدولُ آثارُ القرو ن على رَحى الزَّمَنِ الطّحون

(١) بذ : غلب . (٢) يثوب : يرجع .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

حبُّ الخلودِ بنى لكم خُلُقًا به تتفردون
لم يأخذ المتقدمو نَ به ، ولا المتأخِّرون
حتّى تسابقتم إلى الإحسانِ فيما تعملون
لم تتركوه فى الجليل ، ولا الحقير من الشّئون
هذا القيامُ فقل لنا : اليومُ الأخيرُ متى يكون
البعثُ غايةُ زائلٍ فانٍ ، وأنتم خالدون
السَّبقُ من عاداتكم أتُرَى القيامةَ تسبقون ؟
أنتم أساطينُ الحضارةِ والبناة المحسنون
المتقنون ، وإنّما يجزى الخلودَ المتقنون

وبعد هذا الحب والاعجاب بالحضارة المصرية القديمة يتحدث عن قبر توت عنخ آمون ، فيتساءل أهو قبر أم هو حجرة عرش الملك ؟ إنه يبدو من قبور الموتى ومن قصور الأثرياء المتوفين ، فليس هناك مظهر من مظاهر الحضارة إلا قد حواه ذلك المكان ، فالملك الدفين تحيط به مظاهر الحياة ، وكل آيات المدنية فى عصره ، دينية ودنيوية ، حتى انبهر أمام روعتها الزمن وأهله المعجبون بحضارتهم الراهنة ، وطفت « باريس » أن ذلك المجد من صنع أبنائها ؛ يقول شوقى :

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

أنزلتَ حفرةَ هالكٍ أم حجرة الملك المسكين ؟
أم فى مكان بين ذلك يدهشُ المتأمّلين ؟
هو من قبورِ المتلفين ، ومن قصورِ المَترفين
لم يَبْقَ غالٍ فى الحضارةِ لم يَحُزْهُ ، ولا ثَمين
مَلِكٌ تحيطُ به الحياةُ زمانهُ معه دفين
وذخائرٌ من أعصرٍ ولّتْ ، ومن دنيا ودين
حملت على العجَبِ الزّمانَ ، وأهلَهُ المستكبرين
فتلفّتت « باريس » تحسَبُ أنّها صُنْعُ البنين

ويفصل شوقى بعدئذ ما عثر عليه فى ذلك القبر من ذهب لم تذهب السنون ببريقه الوهاج ، وقد صنعت أيدى القيون من هذا الذهب صفائح وسبائك وتوابيت متوهجة لا يتخذها الموتى ، ولو أنهم فطنوا لهذه النواويس لمضوا ينبشون عنها ، وحاول كل واحد أن تكون له . وقد فصل الكفن برقائق من الذهب ، وقد لفه فى رفق محنط رزين رفيق ، كما يلف الطبيب الضماد فى حنان ، كما تحنو الكمائم على أوراق الورد .

وبدا القبر مزخرفا بالصور والصحف والتماثيل الرائعة

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فيخيل إليك أنك فى معبد للاصنام . وترى الصور تمثل لك الحركة ، وتعبر لك فى وضوح عما تريد ، وقد مرت عليها عصور تلو عصور ، ودهانها غض برغم الزمن المتطاول ، حى لم تمته القرون . لقد خدع العيون فظنته حديث العهد ، ومضت الأيدى تتلمسه لتتأكد من حياته وغضارته .

إن مظاهر الحياة تحيط بالملك فى قبره ، فصور غلمان القصر تجسمهم أمام أعيننا كأنهم لايزالون يزاولون الصيد ويناولونك السهام ، وكأن البوق يدوى صوته فى الفضاء، والسهام والأقواس ترن ، وكلاب الصيد تلهث لطول جريها ، والخيل تجرى فى جنون ، والوحش ينفر بين يديك يجرى فى السهول ، وحيناً يثب الجبال ، والطير يئن من جراحه .

وكأن الناس قد اجتمعوا إليك من كل فج ، وكأننا لانزال نعيش فى عهد الفراعنة ، ولننصت إلى هذا الشعر الذى يصور فى قوة وروعة ملك الآثار الدفينة فى هذا القبر ، فيقول :

ذهبٌ ببطن الأرضِ لم تذهب بلمحته القرون
استحدثت لك جندلاً وصفائحا منه القُيُون[1]

---

(١) الجندل : الحجارة . والصفائح : جمع صفيحة ، وهى الحجر العريض . والقيون : الصناع .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ونواوسا وهاجة لم يتخذها الهامدون (١)
لو يفطنُ الموتى لها سرحوا الأنامل ينبشون
وتنازعوا الذهبَ الذى كانوا له يتفاتنون
أكفانُ وشيٍ فُصِّلتْ برقائقِ الذهبِ الفتين (٢)
قد لفَّها لفَّ الضما دِ مُحَنَّطٌ آسٍ رزين (٣)
وكأنهن كمائمٌ (٤) وكأنك الوردُ الجنين
وبكلِّ ركنٍ صورةٌ وبكلِّ زاويةٍ رقين (٥)
وترى الدُّمى فتخالها انتثرت على جَنَبَاتِ زون (٦)
صورٌ تُريك تحرُّكاً والأصلُ فى الصُّوَرِ السكون
ويمرُّ رائعُ صمتها بالحسِّ كالنُّطقِ المُبين
صحبَ الزمانَ دِهانُها حينا عهيدا (٧) بعد حين

(١) النواوس : التوابيت . والهامدون : الموتى .
(٢) الفتين : المذاب بالبوتقة ليبين الجيد من الردىء
(٣) الضماد : خرقة يشدبها العضو المجروح : والآسى : الطبيب
(٤) الكمائم : جمع كامة ، وهى : غطاء الزهر
(٥) الرقين : الرقيم : الكتاب
(٦) الزون : معرض الأصنام (٧) العهيد . القديم

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

غضٌ على طولِ البِلَى حيٌّ على طول المَنُون
خَدَعَ العيونَ ، ولم يزَلْ حتّى تحدَّى اللاّمسين
غِلمانُ قصرِكَ فى الرِّ كا بِ يناولون ويَطْرِدون(١)
والبوقُ يهتف ، والسِّها مُ ترنُّ ، والقوسُ الحنون
وكلاب صيدِكَ لُهَّثٌ(٢) والخيلُ جُنَّ لها جنون
والوحشُ تنفِرُ فى السُّهو لِ ، وتارةً تثب الحزون
والطَّيرُ تَرسُفُ(٣) فى الجرا حِ ، وفى مناقِرِها أنين
وكأنّ آباء البريّـة فى المدائن مُحْضَرون
وكأن دولة « آل شمس(٤) » عن شِمالِكَ واليمين

ويناجى شوقى الملك ويسميه ملك الملوك ، ويحييه تحية ولاء وحب ويسجل فى شعره أنه مغرم بالوقوف عند آثار المجد ، والاستغراق فيما توحى به من عظمة وجلال ، ويرى أن هؤلاء الفراعنة مثل عليا ترفع أمام الشباب ليقتدوا بهم ، ويعملوا على أن يكونوا مثلهم فى حب الخلود ، والغرام بالاتقان ،

(١) يطردون : يصطادون .
(٢) لهث الكلب : أخرج لسانه من التعب .
(٣) رسف : شىء يشبه القيد . (٤) آل شمس هم الفراعنة.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ويؤمن بأن تاج مصر، إنما استقر على جبين ملوكها، معتمدا على ما كان لمصر من قوة حربية مستعدة، فتسمعه يقول:

ملك الملوك تحيّةً ووَلاء محتفظ أمين
هذا المقام عرفتُهُ وسبقْتُ فيه القائلين
ووقفتُ فى آثاركم أزنُ الجلالَ، وأستبين
كنتم خيالَ المجدِ يُرْ فَعُ للشّبابِ الطّامحين
تاجٌ تنقَّلَ فى الخيا لِ، فما استقرّ على جبين
خرَزاتُه السَّيفُ الصّقيـــــل يشدُّه الرّمحُ السَّنين(1)

وهنا تثور فى نفس شوقى آلام ممضة عندما يوازن بين القوة الحربية القديمة لمصر، وبين ما كانت عليه مصر من الضعف عندما كشف قبر توت عنخ آمون ويبدو الألم البالغ فى قول شوقى:

قل لى : أحين بدا الشّرى
لك، هل جزعتَ على العرين(2)
أنست ملـكا ليس بالشّـــا كى السّلاح ولا الحصين

(1) السنين: المسنون.

(2) الشرى: مأسدة. والعرين: مأوى الأسد.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

البرُّ مغلوبُ القنا والبحرُ مسلوبُ السّفين
لمّا نظرتَ إلى الدّيا رِ صدفت[1] بالقلبِ الحزين
لم تلقَ حولكَ غير (كر تر) والنّطاسيِّ المعين
أقبلتَ من حُجُبِ الجلا لِ على قبيل معرضين
واللهُ يعلمُ لم يروُ هُ من قرونٍ أربعين

وتبدو لوعة شوقى بالغة فى هذا الجزء من القصيدة على ما وصلت إليه مصر من الضعف فى ذلك الحين ، فقد أحس بالملك المصرى القديم حزينا أشد الحزن عندما فتح عينيه على وطن ألفه قوياً بالغ القوة عزيزاً راسخ العزة ، فوجده على غير ما اعتاد أن يراه ، رآه بلداً أعزل ، لا سلاح يحمى بره ، ولا أسطول يدافع عن بحره ؛ فلا غرابة إن أعرض عن الديار بقلب متألم حزين .

ولِمَ لا يحزن وهو لم ير حوله أبناءه المصريين هم الذين اهتدوا إلى قبره ، بل وجد وجها غريباً ، وسحنة لا تمت بصلة إليه .

---

(١) صدفت : أعرضت .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ولِمَ لا يحزن وهو يرى قومه لا يسهمون فى بناء الحضارة وإشادة المجد ، كما كان هو يساهم فى ذلك بحظ وفير .

ولكن الشاعر برغم تمجيده للملك المصرى وحضارة عصره لا يقبل حكم الفرد ، ولا يرضى عن حكم الجمهور نفسه بديلا ، ويرى أولئك الذين يقبلون حكم الفرد متخلفين فى التفكير متأخرين لا يعيشون فى عصرهم ، واستمع إلى شوقى إذ يقول :

قسماً بمن يحيى العظا م ، ولا أزيدُك من يمين
لو كان من سفر إيا بُك أمس أو فتح مُبين
أو كان بعثك من دبيـــب الرّوحِ أو نبضِ الوتين(١)
وطلعت من وادى الملو كِ عليك غارُ الفاتحين
الخيلُ حولَكَ فى الجِلاَ لِ العسجَدِيةِ ينثنين(٢)
وعلى نجادك هالتا ن من القَنا والدّارعين(٣) .

(١) الوتين : عرق فى القلب يجرى منه الدم إلى العروق كلها .
(٢) الجلال : جمع جل ، وهو للدابة كالثوب للإنسان .
(٣) النجاد : جمع نجد وهو المكان المرتفع من الأرض والهالة : دارة القمر . والدراع : من عليه درع .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

والجندُ يدفعُ في ركا بك بالملوكِ مصفّدين(1)
لرأيتَ جيلا غير حيـلك ، بالجبابر لا يدين(2)
ورأيتَ محكومين قد نَصَبُوا(3)، وردّوا الحاكمين
إن الزّمانَ وأهلَه فرَغا من الفردِ اللّعين
فإذا رأيتَ مشايخاً أو فتيةً لكَ ساجدين
لاق الزّمانَ تجدهمو عن ركبِه متخلّفين
هم في الأواخرِ مولِداً وعقولُهُمْ في الأوّلين

وتبدو نظرة شوقي الحزينة أيضاً في أرجوزة أخرى ناجى بها توت عنخ آمون ، حيث ثار على الضعف الذي كان عليه الوطن ، فتخيل الملك المصرى ، كما كان ، قائداً مغواراً يقود جيشاً يملأ السّهل والجبل ، يمضى به فاتحاً منابع النيل .

ويحدثه عما اكتسبه وادى الملوك من الشهرة والازدهار يوم كشف عن قبر هذ الملك الذى أعاد إلى الأذهان ذكرى دولة الفراعنة الذين أبلت آثارهم قوى الدهر ، وفلت سطوته .

---

(1) مصفدين . مقيدين بالأغلال. (2) دان بكذا . آمن .
(3) نصب الشيء : رفعه وأقامه . او وضعه وضعا . ثابتا . ونصب له الحرب : أقامها عليه.

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وظلت آثار الملك الراحل تسافر عبر القرون ، حتى انقضى أربعون قرنا حتى إذا عاد إلى وطنه وجد به انجلترا وجيشها ومندوبها مقيمين فيه مسلولى السيوف لتحمى الهند ، وتفصل السودان ، وتقتطع قناة السويس . يقول الشاعر للملك المصرى القديم :

قم سابقِ (الساعة[1]) ، واسبق وعدَها

الأرضُ ضاقت عنك ، فاصدع غمِدَها

واملأْ رماحا غورها ونجدَها

وافتح أصول النّيلِ واستردّها

شلاَّلَها ، وعذبَها ، وعِدَّها[2]

واصرِف إلينا جزرها ومدَّها

تلك الوجوهُ لا شكونا فقدها

بيَّضت القربى لنا مُسْوَدَّها

سُلِلْتَ مِن (وادى الملوك) فازدهى

وألقت الشّمسُ عليه رأدها[3]

(١) الساعة . يوم القيامة .
(٢) العد . المـاء الجارى الذى له مادة لا تنقطع .
(٣) راد الضحى . ارتفاعه .

واسترجعت دولته إفرِندَها[١]
أبيض ريّانَ المتون وَردها
أبلى ظُبَ الدّهرِ ، وفلّ حدّها
وأخلقَ العصور ، واستجدّها
سافر أربعين قرناً عدّها
حتّى أتى الدّار ، فألفَى عندها
إنجلترا ، وجيشها ، ولوردها مسلولة الهندىِّ تحمى هندها
قامت على السّودان تبنى سدّها
وركزت دونَ القناةِ بندها[٢]

وكانت هذه المفاجأة التى فوجىء بها الملك المصرى مذهلة محزنة فقال فى حسرة : ليتنى ظللت فى القبر مختفياً وراء جدرانه ، ولم أنتبه من رقدتى . حدثنى أيها الشاعر المصرى القديم عما حدث بعدى من لعب مصر واستهتارها ، ونسيت جلال الآباء والأجداد ، ولم يصدها عن هذا الاستهتار جلال الموت ، ولا هيبة من ماتوا ، يقول شوقى على لسان ملك مصر :

(١) الإفرند : جوهر السيف ووشيه . (٢) البند : العلم .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فقال ، والحسرة ما أشدّها

ليت جدارَ القبرِ ما تدَهدَها[1]

وليت عينى لم تُفارِق رقدَها

قُم نبِّى يا بنتئور [2] ، ما دهى

مصرُ فتاتى لم توقِّر جِدَّها

دقّت وراء مضجعى جاز بندها

قد سحبت على جلالى بُردَها

ليت جلالَ الموتِ كان صدّها

وهنا يمجد شوقى الملك المصرى القديم ، ويمجد ملوك مصر القديمة بعامة إذ يقول :

فقلتُ : ياماجدَها وجمدَها[3]

لولم تك ابنَ الشَّمْسِ كنتَ رِئدَها[4]

لحدُك ودّته النّجوم لحدَها

أريتنا الدُّنيا به ، وجِدَّها

(١) تدهده : انقض وتدحرج. (٢) بنتاءور : شاعر مصرى قديم.
(٣) الجمد : الكريم . (٤) الرئد : القرن فى السن .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

سلطانَها وعزَّها ورَغْدها

وكيف يُعطَى المتقنون خُلْدَها

آثاركم يخطى الحسابُ عدَّها

إنهدَم الدَّهر ، ولم يهدَّها

ولم يكن الشاعر هنا برغم احتلال الانجليز للوطن المفدى متشائما ، بل كان يرى مصر قد بلغت حدا من الرشد يبشر بمستقبل سعيد ، وكانت ثورتها المباركة سنة ١٩١٩ دليل يقظة ورشد ، فأرسلت وفدها إلى أوربا ، وأقامت البرلمان تستقبل فيه نواب البلاد . ولعل ذلك كان نقطة لبدء العمل الجليل لبناء مستقبل رشيد :

مصرُ الفتاةُ بلغَت أشُدَّها وأثبتَ الدَّمُ الزَّكىُ رشدَها

ولعبت على الحبالِ وحدَها وجرّبت إرخاءها وشدَّها

فأرسلت دهاتَها ولدَّها (١) في الغربِ سدّوا عنده مسدَّها

وبعثت للبرلمانِ جُنْدَها وحشدَت للمهرجان حشدَها (٢)

(١) اللد : الأشداء في الخصومة .

(٢) الشوقيات ٢ : ١٩٧ ومابعدها .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ويختم هذه الأرجوزة بالدعاء لمصر أن يقوى الله يدها ، ويشد أزرها ، وأن يفتح أمامها السبل ولا يسدها ، وأن يجعلها تقدر لكل خطوة ما بعدها ، وأن يبعدها عن صغار الأمور ، ويوجهها إلى العظائم ، حتى لاتذهب دماء الضحايا هدراً ، وأن يكبح هوى النفوس ويكسر أحقادها ، ويجمع القلوب على حب مصر الأم الرءوم ، وأن يجعل النبوغ من حظ أبنائها ، وألا تخلق بيديها من يستبد بأمورها .

ولعل الكشف عن آثار توت عنخ آمون . وقيام الثورة المصرية المباركة ، وفتح البرلمان أبوابه لاستقبال نواب البلاد هو الذى أثار هذه الأمانى الطيبة فى صدر شوقى عندما قال .

يا ربِّ قوِّ يدَها ، وشدَّها
وافتح لها السُّبل ، ولا تَسُدَّها
وقِس لكلٍّ خُطوةٍ ما بعدها
وعن صغيراتِ الأمورِ حُدَّها
واصرِف إلى جِدِّ الشُّئونِ جِدَّها
ولا تُضِعْ على الضّحايا جُهْدَها

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

واكبح هوَى الأنفس،وا كسر حقدَها
واجمَع على الأمِّ الرَّءومِ وُلْدها
واملأْ بألبانِ النبوغِ نَهْدَها
ولا تدَعْها تُخِي مستبدَّها
وتنتحِتْ براحتَيْها فردها

وهو هنا ، كما سبق فى شعره ، يكره حكم الفرد ، ويمجد الشورى . وهكذا كان الكشف عن آثار توت عنخ آمون مثيرا لخواطر متنوعة فى شعر شوقى فحيناً هو فخور بالمجد المصرى القديم ، تياه بهذه الحضارة الرفيعة التى دل عليها كشف ذلك القبر ، وحيناً يصف هذا الكنز الثمين ، وحيناً يوازن بين الماضى والحاضر ، وحيناً يتفاءل بمستقبل مزدهر لهذا الوطن العزيز . ولكنه فى جميع الحالات لا يطمئن إلى حكم الفرد ، ولا يرتاح إلى استبداده .

ومن كل ماعرضناه يبدو تبريز شوقى فى وصف الآثار المصرية ، مما يجعلنا نشعر بصدقه يوم افتخر بسيفه فى ميدان الوقوف عند آثار مصر والإشادة بيناتها فقال :

هذا المقام عرفته وسبقت فيه القائلين

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

تمثال رمسيس

كان نقل تمثال رمسيس الثانى من البدرشين حيث كان ، إلى محطة القاهرة حيث أقيم — مثيرا فى نفوس الشعراء كثيرا من الذكريات والخواطر ، فهذا شاعر قد أثار فيه نقل التمثال ذكريات تاريخية عن رمسيس ، هى ذكريات مجده الحربى ، فتخيل رمسيس على رأس جيشه ، وقد ملأ الوادى صهيل خيله ، وزلزل الأرض هدير صوته الذى لا تزال ربى النيل تردده ، وقد انتظم جنده من حوله يرون فيه القائد المظفر . إنهم يكونون جحفلا جرارا كأنهم السيل المنهمر يثقلون كاهل الأرض ، لهم شجاعة الجبابرة الذين يطلبون أن يخلد التاريخ شجاعتهم ، ولهم أصوات مفزعة .

أما رمسيس فتعنو لسيفه الأعناق المتوجة ، وتهوى به يمينه كالقدر يردى فلول المنهزمين أمام بسالته ، تحمله مركبة يحملها الدهر ، ويرعاها الشمس والقمر ، يسدد منها سهام الموت تحصد أعداءه ، فتهون عزيمتهم أمام عزمه ، ويدق بأسه الحصون السامقة ، حتى انفرد فى عصره بالمجد لا يشاركه فيه سواه .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وها هو ذا يعود إلى وطنه تطلق أبواق جنده عودته منتصرا على أعدائه . ذكريات هذا المجد الحربى يسجلها الشاعر فيقول:

رمسيسُ ، ما أروعَ التّاريخَ محتشدا
وقد ذكرت فأصغت للعُلا السِّيَرُ
صهيلُ خيلك فى الوادى تردّده
ملاحينٌ جاوبتها الرّيح والشّجر
وزلزل الأرضَ إيقاعا وتصديةً
هدير صوتك والماضون قد نُشِرُوا
وفى ظلال العلا أجنادك انتظموا
يستلهمونك أمجاداً لها انتصروا
سارت جحافلُهم فى الأرضِ تثقلُها
كأنّها السّيل فى الوديان ينهمر
عنت لسيفِك أعناقٌ متوّجةٌ
بالغارِ من قبل أن تُذْرى بها النُذُر

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

في مركَب لك هامُ الدّهر تحمله
والشّمسُ ترعاه ، والأفلاك والقمر
ودقّ بأسكَ حصنا كان سامقهُ
يطاول النجم . حتّى ماله أثر
حتى انفردت بمجد الدّهرِ أجمعِه
فما تخطّاك من عليائه وطر
والنّصر بشراه في الآفاقِ تطلقُها
أبواقُ جندِك في الوادي ، وقد ظفروا[1]

وهذا شاعر يرى رمسيس قد عاد بعد هذه القرون الطويلة والأجيال المتعاقبة ، عاد في موكب من المجد تنطق به الأفعال لا الأقوال ، عاد يمشي في شعبه ، رهيب الخطوة ، فارع الطول ، شامخ الأنف ، رائع الجمال ، يمسك بيده صحيفة أعماله التي سجل فيها كفاحه ونضاله .

وهنا يمجد الشاعر شعب مصر القديمة الذي أنشأ هذا

---

(١) الأهرام في ٢٥/٢/١٩٥٥ للأستاذ حسن فتح الباب .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

التمثال الرائع ، ويرى هذا الشعب صانع المجد ، باعث الفن ، قد سكب روحه فى المعابد والأهرام . ويرى رمسيس رمز هذا الشعب الأبى ، إذ يقول :

من وراءِ القرونِ والأجيال
عادَ ، لكن فى صورة التّمثالِ
عاد يزهو فى موكب مِن فخارِ
صامتِ القولِ ناطقِ الأفعال
عاد يمشى فى شعبه مِشيةَ الأم
س رهيبَ الخطى فسيح المجال
فارعَ الطّولِ شامخَ الأنفِ يبدو
رائعَ الفنِّ ، عبقرىَّ الجمال
فى يديه صحيفةُ القدَر الغا لب مكتوبةً بروحِ النِّضالِ
من بطونِ التّاريخ ينشر ألوا
ناً من الزّهرِ والنّقوشِ الغوالى
دبّجتها الأكفُّ من شعبِ مصر
صانعِ المجدِ فى العصورِ الخوالى

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

باعث الفنِّ والحياة بوادى النـ
يل بين المصبِّ والشلاَّل
ساكبِ الرّوحِ فى المعابدِ والأهـ
رامِ تجرى بكهربٍ سيّال
فهو رمز العلا لشعب أبىٍّ بين أقرانه ، عزيز المثال

وصور الشاعر خروج الشعب للقاء تمثال رمسيس ، وما أثارته رؤيته فى نفسه من ذكريات قديمة وحديثة ، فتخيله راكبا عجلة الحرب يصمى أعداءه بالنبال ، وتخيله قائدا مغوارا ، يهجم على أعدائه فى معاقلهم ، وتخيله وهو يبنى معبد الرمسيوم ؛ وتمثله فى قرية « البدرشين » وهو ملقى فى ساحتها طريح الرمال فى مهب الريح ينظر إلى السماء ، شاكيا ما وصل إليه أمره من سوء المآل بعد عز الحياة حتى قيض الله له من نفض التراب عنه ، ورفعه أمام الزمان أصيد عالى المكان ؛ وهذه بعض أبيات تصور هذه الذكريات .

خرج الشّعب كلّه يتملّى
وجه رمسيسَ ذى العلا والجلال

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

كان عهدى به على مجلات الحـــرب يصمى أعداءه بالنبال
كان عهدى به أخا الفتح يغشى في حمى الغاب موطن الرئبال
كان عهدى به أخا المجد يعلى معبد «الرمسيوم» بين الجبال

وعندما كان فى البدرشين :

طالما هبّت الرّياحُ عليه وهو فى ساحِها طريحُ الرّمالِ
ناظرٌ للسّماءِ يشكو إليها بعد عزّ الحياة سوء المآل
يتمنّى على المدَى من بنى مصـ ـر جريئا فى فعلِه لا يبالى
ينفض التّربَ والغوائل عنه ليراهُ الزّمانُ أصيدَ[1] عال

ثم يناجيه الشاعر بما أثارته رؤيته فى نفوس المصريين من آمال كبار فى المجد والنصر، ويراه خطيباً بما اتصف به من الخصال السامية

ويرحب الشاعر برمسيس فى مصر الحديثة بعد الثورة ، فقد تطهرت من عار الاحتلال ، وصارت أمة تسعى إلى المجد والعلا ، قد حزمت أمرها واتحدت كلمتها ، وتخلص حتى السجين من الأغلال ، فقول له :

هذه مصرُ رحّبت بك يا رمسـ
ـيسُ فى موكبٍ من الأبطال

(١) الأصيد : رافع الرأس كبراً

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

فادخل اليومَ أرضَها ، فهى طهْر
غُسِلَت من هزيمة واحتلال
ستراها كما عهدتَ قديماً
أمَّةُ المجدِ والنُّهَى والمعالى
حزَمت أمرَها اتحاداً ، وثابت
للهدى بعد فرقة وضلال
عيدُها أن تراك فيها ، وما ير
سُفُ حتَّى السَّجين فى الأغلال[1]

أما هذا الشاعر فيستوقف نظره تمثال رمسيس وهو راقد فى صحراء البدوشين حيث تضربه الشمس نهاراً ويناجيه القمر ليلا ، فلو أن التمثال كان حديداً لانصهر فى حرارتها . لقد مرت عليه آلاف الأعوام ، وتهاوت كما تهاوت أوراق الشجر لم تغير منه شيئاً ، يقول الشاعر :

مَن ذلك الرّاقدُ فى الصَّحراءِ من دهرٍ غبر
تضربه الشَّمس ، وفى الليل يواسيه القمر
لو أنّه كان حديدا فى لظاها[2] لانصهر

(١) الأهرام فى ١٩٥٥/٣/٥ للاستاذ عامر بحيرى (٢) لظاها : لهيبها

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

آلافُ أعوام تهاوت مثلَ أوراقِ الشّجر
ما غيّرت منه ، وكم شوهد فيها مِن غِيَر

ويسأله الشاعر عن سر هذا النوم الطويل ، وهل كان ذلك لطول سهره على مصلحة رعيته و بناء مجدها . لقد نام طويلا نوما لم تزعجه فيه الأحلام فكيف استيقظ بعد هذا النوم الطويل ؛ ويجد الشاعر الجواب فى هذه الثورة التى أيقظت فى البلاد كل شىء حتى الحجر الأصم فيقول :

يا نائما دهرا ، أطولُ النوم من طول السّهر
ما كدّرت نومَكَ آلام ، ولا حُلْمٌ خطَر
كيف انتبهت بعدما خُدِّرت ذلك الخدَر
أيقظكَ العهدُ الذى أيقظ فى مصر الزُّمَر

ويخاطب الشاعر رمسيس قائلا له : إنه قد نال الخلود فى كل ناحية من النواحى ، فخلد جسمه محنطاً ، وخلد تمثاله ، وخلد تاريخه الباهر على الزمن ، أما روحه فمكفول لها الخلد إلى يوم القيامة ، وقد أمدّها المصريون بالطعام ، وحرسوها بالسلامة والتعاويذ من كل شرٍّ يستطيع أن يمسها ، إذ يقول :

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

رمسيسُ ، قد خُلِّدْتَ فى الدُّنيا على كلِّ الصُّوَر :
جسما ، وتمثالا ، وتا ريخا على العهدِ .كَر
والرّوحُ مكفول لها الخُلْدُ ليوم المستقر
أمّا أمدُّوها بما تطعمهُ طولَ السَّفَر
وعوّذوها بالسّلاح والرُّقى من كلّ شرّ

ويناجى الشاعر رمسيس فرِحا بما أحرزته مصر على يد الثورة من أمجاد ، فقد طهّرت البلاد من أرجاس المستعمرين ، ولو أن رمسيس رأى البلاد قبل الثورة لخزى لما يراه فى مصر من خور تنحني له الرؤوس خجلا ، وينفطر له القلب أسى ، ورام لو عاد إلى وحشة الصحراء ، حتى لا يرى عار احتلال الأجنبى للبلاد ، فقد دام سبعين عاما عاث فيها فساداً وظلماً ، حتى أرسل لها القدر مَن خلّصها من عار ذلك الدّنس ، يقول الشاعر :

رمسيسُ ، لو فى مصرَ قبلَ اليومِ لُحْتَ للنَّظَر
لكان أخزاك الذى يلقاك فيها من خَوَر
وكان رأسك انحنى وكان قلبُك انفطر
ورمت لو عُدْتَ إلى الصّحراء زهدا فى الحَضَر

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

هذا هو المحتل يجلو بعدما في مصرَ قرّ
سبعين عاما عاش فيها ، واسترقَّ وهدَرَ
مستوزرا منها الذى خان ، ومان[١] ، وغدر
حتى أتاها قدَرٌ من جانب الغيب ظهر
فاجتثّ ، واجتثّ[٢] ، ونمّى ، وبنى ، ثمّ عمر

ويختم الشاعر قصيدته ، متحدثا عن العدو الرابض لنا فى الشرق ، كما كان العدو رابضا لرمسيس فى الشرق أيضاً ، وإذا كان رمسيس قد قضى على عدوه فى معركة « قادش » فإن الشاعر يتمنى أن يلتقى العدو فى معركة قادش أخرى يهزمه فيها هزيمة نكراء ، فيقول :

رمسيسُ ، ياسليلَ « رَع » سل « رَع » يقى مصرَ الخطر
ما زال فى الشَّرقِ لنا خصمٌ كخصمك انتظر
يا ليتنا فى « قادش » أخرى لقيناه ، ففر[٣]

---

(١) مان كذب .
(٢) اجتث . قطع . واجتث : حث .
(٣) الهلال فى يولية سنة ١٩٥٥ . للاستاذ محمود عماد .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

ويحس شاعر آخر أن رمسيس عندما هب من نومه واقفا على قدميه ظن أنه قد بُعِث وكان على مدى العصور يحلم بالبعث ويتوق إليه ، فأخذ يتساءل : أين جنده وقصوره وعواصم بلاده ، والمعبد الذى أقامه ، ومن يملؤه من العباد ، بل أين قلبه الذى يحس به الحياة والخلود .

ويسرع الشاعر فيجيبه بأن ذلك بعث حقيقى ، لأن النيل قد استيقظ بنوه ، يستمدون مجدهم من مجد رمسيس ، فلم يبق فى الوادى نائم ولا كسلان ، ولا خاضع ذليل ، بل قد غدا الشعب كخلايا النحل ، يعمل فى جد ودأب ، حتى أحال الصحارى التى كانت خرابا جنة مزدهرة ؛ أما جيش رمسيس فهو فى الوادى قد شمر عن ساعديه للأحداث ، فجنده أسود فى الحرب ، ويحمون الحقوق فى السلم .

وكل مايمكن أن يراه رمسيس من فرق بين مايراه اليوم وما كان يراه بالأمس هو أن شعبه كان يدين بالعبادة لآمون فى حين أنه يدين اليوم لإله عزيز رحيم واحد خالد خلق الخلق كما شاء .

لقد بعث رمسيس اليوم فى أشخاص أبنائه ، فكلهم له قلب رمسيس وعزمه ، وقد صمموا أن يكتبوا لأنفسهم تاريخا

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

مجيداً ، وأن يتخذوا من معركة قادش نموذجا ينسجون على منواله . يقول الشاعر :

هبّ من نومِه على قدَمَيْه ينشُدُ البعثَ ، وهو بين يديه
وصحا فاستقام يلقى على الدّنيا سؤالا يجول فى عينيه
أوَ حقًا بُعِثتُ للنّيلِ أم أنّ خيالى بالبعث يهفو إليه ؟
أين جُندى ؟ وأين ركبى ؟ وجيشى ؟ وعَتادى أمضى وأغدو عليه
أين ممفيس ؟ أين طيبةُ ؟ والمعبدُ ؟ والعابدون فى ساحتيه
أين قلبي أردّه لضُلوعى ؟ أستمدّ الخلودَ من خفقتيه

فيجيبه الشاعر :

يابن آمونَ ، إنّه البعثُ فانظر يقظة النّيلِ والّذين عليه
انظر النّيل لا ترى فيه وسنا نَ[1] ، ولا جاثيا على ركبتيه
شعبهُ قد غدا خلايا من النّحل لجنى الثّمارِ من ضفّتيه
والصّحارى التى عهدت ببابا[2] قد نمَت جنّة على شاطئيه

---

(١) الوسنان : النائم . (٢) البباب : الخراب .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وهنا جيشك المظفر قد شمّر للحادثات عن ساعديه
جنده فى الوغى أسودٌ ، وفى السّلمِ حماة الحقوق من عنصريه
لم يعدُ ثمّ يابن رمسيس آمو   ن تفيضُ الخيراتُ من راحتيه
خالقُ الكون قد هدا النّاس للإيمانِ والحى ، واصطفاهم إليه
وحبا مصر كلّها قلبك البا   سلَ ، ترجو الخلود من خفقتيه
كلُّ أبنائها لهم قلب رمسيس وعزم الأسودِ من ساعديه
يوم «قاديش» يابن رمسيس قد خلّف جنداً سينسجون عليه[1]

وهكذا أثار تمثال رمسيس فى نفوس الشعراء خواطر متعددة ، فاستعاد بعضهم تاريخ رمسيس الحربى ، وأحس بعضهم أنه قد عاد بين شعبه كما كان بالأمس ، وملأته ذكريات الماضى والحاضر ، وفاض أملا فى مستقبل للوطن مزدهر ، وكانوا جميعاً فرحين بما ظفر به الوطن فى العهد الجديد من حرية ، ونهضة شاملة توحى بما ستكون عليه البلاد من مجد وعزة .

---

(١) الأهرام فى ٢٣ يولية سنة ١٩٥٥ للدكتور عبد الله عبد العزيز

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

منارة الإسكندرية

وقد سبق وصفها فى أول هذا البحث وقد تحدث عنها المسعودى فى مروج الذهب (١:٢٣٢) والسيوطى فى حسن المحاضرة (١ : ٤٣) ، ويقول عنها ابن فضل الله العمرى : وقد كانت المنارة سرح ناظر ، ومطمح أمل حاضر ، طالما جمعت اخدانا ، وكانت لجياد الخواطر ميدانا . ولم يبق منها إلا ماهوفى حكم الأطلال الدوارس ، والرسوم الطوامس [١] .

ومن هذه الخواطر التى حركتها خواطر شاعرين من أبناء القرن السادس الهجرى هما ابن قلاقس ، والوجيه بن الدروى ، فقد روى أنهما طلعا المنارة ، فاقترح ابن قلاقس على صاحبه أن يصف المنارة ، فقال الوجيه على البديهة :

وساميةِ الأرجاءِ تُهدِى أخى السُّرى
ضياء إذا ما جِنْدسُ[٢] اللّيل أظلما
لبِستُ بها بُرْداً من الأُنسِ ضافيا
فكان بتذ كارِ الأحبّة مُعْلَما[٣]

(١) مسالك الأبصار ١ : ٢٤٠ . (٢) الجندس : الظلمة .
(٣) معلماً : مطرزاً .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

وقد ظلّلتنى من ذُرَاها بقُبَّة
ألا حظر فيها من صِحابَى أنجما
فخيِّل أنّ البحر تحتى غمامة
وأنى قد خيَّمت فى كبدِ السّما(1)

فاشتد سرور ابن قلاقس وفرحه ، وقال يصفها :

ومنزلٍ جاوز الجوزاء مرتقيا
كأنّما فيه للنّسرين(2) أو كار(3)
راسى القرارة ، سامى الفرع فى يده
للنّونِ والنّورِ أخيار وأخبار
أطلقت فيه عِنانَ النّظم فاطّردت
خيل لها فى بديع الشّعر مضمار

ولسنا الآن بسبيل نقد هذا الشعر ، وتقدير قيمته الفنية ، ولكننا بسبيل استنباط ما يدل عليه من الأعجاب بارتفاع المنارة فى جو السماء ، حتى خيل لابن قلاقس أنها بلغت عنان السماء ، وتخيل الوجيه أنه خيم فى كبدها ، والاعجاب بهذا النور ينبعث منها فيهدى السارين إذا اشتد ظلام الليل ، والإعجاب برسو أصلها فى الأرض واستقرارها فى ثبات .

(1) مسالك الأبصار 1 : 241 . (2) النسران : مجموعتان من النجوم .
(3) مسالك الأبصار 1 : 241 .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

عمود السّوارى

وصفه المؤرخون للآثار المصرية ، من غير أن يرووا شعراً يصف إحساس الشعراء نحوه ، أو إعجابهم بدقة صنعه وارتفاعه الشاهق فى الجو .

وبعد فهذه عجالة تبين الاتجاهات المختلفة التى نظر بها الأدباء إلى آثار مصر فى القديم والحديث ، وكلها باستثناء الشاعر خليل مطران معجبة بتلك الآثار مسجلة ما تدل عليه من حضارة وعلم وخلق رفيع .

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

المكتبة الثقافية
تحقق اشتراكية الثقافة

صدر منها :

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك

الثمن قرشان

مطابع دار القلم

صفحة كتب سياحية و أثرية و تاريخية على الفيس بوك